

بستان الغربة

احسن المحاسن وغرر الدرر
من قريض الغرب ونثره

عربه من الفرنسية

محمد كامل حجاج

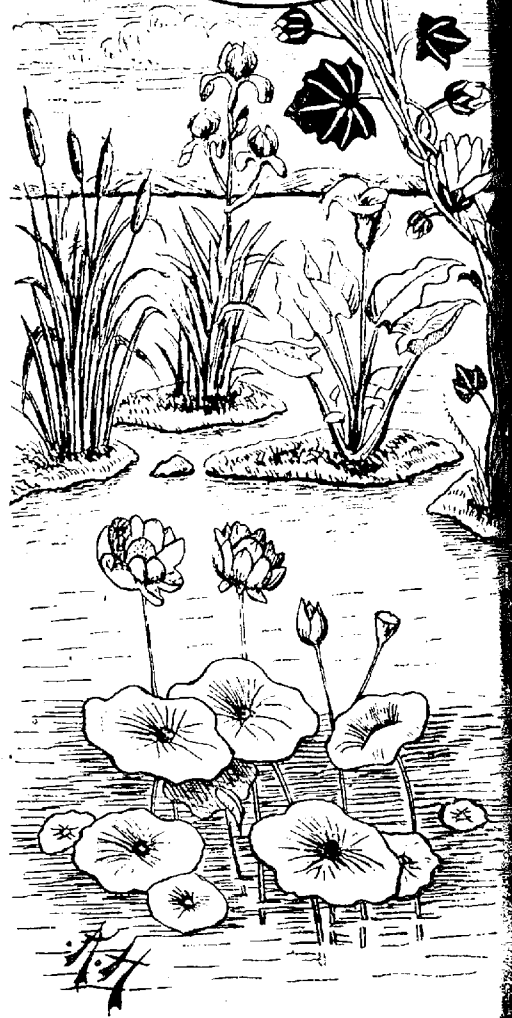
بالحكمة المختاطة

حقوق الطبع محفوظة

Choix de poèmes lyriques
et prose d'auteurs français
avec leur biographie.

par

M. Kamel Haggag



طبع بمطبعة التوفيق بمصر

893.78

H122

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لمن أنشأ الانسان . وميزه بفضيالي النطق والبيان . ليرجم عما
يوحيه اليه الشعور الشريف والوجدان . وصلاة وسلاماً على نبراس العلم
والعرفان . من خص بالحكمة وفصل الخطاب . وأوتي من جوامع الكلم
ماسحراً الالباب . حتى ساد قومه مجداً وفخراً . وان من البيان لسحراً .
وبعد فهذه نخب اقتطفها من معجز بلاغة الغرب لنرى معشر العرب
ما احرزه الغريون من قصبات السبق في مضمار التحرير والانشاء . وما لهم
من سلامة الذوق وحسن التعبير في الوصف والاعراب عن الشعور
والمواطف بما يحس به الوجدان دون كلفة

يقع شعرهم وثرهم على الآذان كنفات الموسيقى بما يشجي السامع من
رقة الوصف وسلاسة التركيب وأوانس الالفاظ وغرر البيان وبعد الكلام
عما تمعد من المعاني وخلوه من الخياليات المتشعبة والتنقل فيها بما يذهب

بالسامع كل مذهب فيركب متن الشطط ويصعب عليه الفهم فلذلك يعقله
الفكر لاول وهلة دون امعان واجهاد قريحة .

وقد سلكت في تعريب هذه المقتطفات مسلك الامين حرصا على
المعاني لابرازها بمشرب الكاتب انعرف أسلوبه وروحه في الانشاء وصفتها
في قالب عربي سهل العبارة قريب التناول لازف الى الناطقين بالضاد
عرائس نظم الغرب ونثره رافلة في الحلل العربية وعساني اكون اديت بعض
الواجب الاجتماعي وخدمت الناشئة بعمل نموذج لهم للترجمة والانشاء
ليجمعوا بين الاصل والتعريب ويعلموا كيف يسرون فيه ويصوغون المعاني
في القالب العربي اللائق بها والذوق السليم الملائم لها . وان ساعدني الحظ
وصادف عملي نجاحا واقبالا من معشر قراء العربية شمرت عن ساعد الجد
واستمررت في عملي هذا ناشرا اجزاء تباعا كلما سنحت الفرص وسمحت
اوقات الفراغ والسلام



Victor Hugo

فيكتور هوجو

كان القرن التاسع عشر طفلاً في حوله الثاني حينما تمخضت الايام بمولود (بيزانسون) وهو ابن الكونت (سيچيسبير هوجو) من مشاهير القواد والكتاب الحريين ثم طوحت به في كل شرق وغرب حبة تذروها الرياح حيث تشاء .

نشأ من دم بريطاني ولوريني فأصبح هذا الصبي واسطة عقد شعراء القرن الماضي بل امام شعراء الغرب على الاطلاق^(١)

ولما ولد في عام ١٨٠٢ كان القريض الفرنسي منحطاً تغلب عليه الضعف حتى كاد يودي به وقدمضى وقتئذ على قتل (اندرية شينييه Andre Chenier) الشاعر الثابفة ثمان سنين فلم يبق من خيرة الادباء الا (شاتوبريان Chateaubriand) فانه أنى بنثر رقيق متين تزينه روح الشعر

(١) كتبت مجلة Je sais tout في عددها الصادر في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٨ ان اثنين من محرريها كتبوا الى المشاهير من التوابغ في العلوم والفنون الجميلة في جميع أقطار أوروبا يسألون كلا منهم رأيه عن الامام في الشعر والموسيقى والتصوير وفن وضع الروايات والعلوم فانخب باغلبية الاصوات فيكتور هوجو في الشعر ويتهوفن في الموسيقى وبلزاك في فن الروايات وباكون في العلوم

وإذا استثنينا بعض الكتاب مثل (اندريو Andrieux) و (كولين دارلو فيل Colin d'Aarleville) اللذين مهرا في الروايات التمثيلية من نوع (الكوميدي) والشعر البسيط المألوف فإن الباقي من الادباء لا يصلحون الا لنظم الروايات المحزنة (التراجيدي) التي كان يضرب السكل فيها على نغمة واحدة والملاحم^(١) الساذجة والادوار المنظومة وغيرها مما تجرد جميعها من سحر البيان وغرر الابداع فكان نصيبها من القصاص ان طرحت في زوايا النسيان

وكان من بين الادباء في هذا العصر من يحسن الوزن وتأتيه القوافي طوعا ولكن نظمه خال من روح القريض (كدليليل Dëlille) . ويقال انه كان يفخر في أواخر أيامه بانه نظم في الابل اثنتي عشرة قصيدة واربعاً في الكلاب وثلاثاً في الخيل وستاً في النور واثنتين في القطط وواحدة لكل من الشطرنج والترد والضامة والبليلار وعددا عظيماً في الشتاء والصيف والربيع وغروب الشمس والفجر حتى ضل في عددها . ولما ظهر الجزء الاول من ديوان فيكتور هوغو المسمى (اود^(٢) وبلاد (Odes et Ballades) الذي بدأ به وهو في السادسة عشرة من عمره سنة ١٨١٨ -- سنة ١٨٢٨

- (١) الملاحم جمع ملحمة وهي في اللغة الواقعة العظيمة التي ياتحم فيها الجيشان واصطالح عليها المتأخرون كابن خلدون وأطلقوها على المنظومات التي تمثل احوال أمة أو قوم وتفصل تاريخهم ووقائعهم الحربية
- (٢) بحران من الشعر الفرنسي ففضلنا وضعهما بلفظهما

كان برداً قشياً للبلاغة بعد ما يلي ثوبها وبدراً ثماً في سماء البيان غاب
لظهوره كل نجم ولم يكذب بلغ العشرين حتى ادهش الناس بحميته وحماسته
وقوة خياله وغزارة مادته وطلاوة انشائه وانتظام وزنه وسلاسة تركيبه
وقد قويت وعظمت هذه الصفات في الاجزاء التالية من ديوانه
وفيهما (الشريقات) سنة ١٨٢٩ و (اوراق الخريف) سنة ١٨٣١
و (اناشيد الشفق) سنة ١٨٣٥ و (اصوات الضمير) سنة ١٨٣٧
(والاشعة والظلم) سنة ١٨٤٠

وكما انه مهد للشعر سبلاً جديدة وحل اصفاده^(١) التي رسف
فيها حيناً من الدهر فانه اتى بمعجزات المنشور وعنوان البيان وآية البراعة
في كتابه (نوتردام دو بارى Notre-Dame de Paris) سنة ١٨٣١ الذي
جمع فأوعى من شتات اللغة فكان له القدح الممل^(٢) في دولة النثر كالنظيم
نظر الى فن التمثيل وقد هوى الى الدرك الاسفل من الخطاة والموز
فصال عليه واستطال حتى هذبه ورفع شأنه وبعثه بعثاً جديداً

ومن مشاهير رواياته التمثيلية التي سارت بذكرها الركبان وسجبت على
غيرها ذيل النسيان ولم تفارق الآن اعظم المراسيح ما وضعها شعراً مثل
(ايرناني) و (ماريون دولورم) سنة ١٨٣٠ و (الملك في لهوه) سنة ١٨٣٢
و (روى بلاس) سنة ١٨٣٨ و (ليبورجراف) سنة ١٨٤٣ وغيرها . وما

(١) جمع صفد وهو القيد

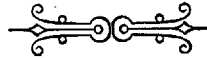
(٢) السهم السابع في الميسر وهو افضلها واذا فاز حاز سبعة انصباء من الجزور

كتبه نثرا مثل (لوكريس بورجيا) و (ماري تودور) سنة ١٨٣٣ و (انجيلو) سنة ١٨٣٥ وغيرها وقد كتبها بنظم محكم السبك ونثر متين الحبك وقد انتخب في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٤١ ومنح رتبة (بيردو فرانس) سنة ١٨٤٥ ثم خاض غمار السياسة الى ان صار رئيساً لحزب الشمال الديموقراطي وخطيبه الاعظم. ثم حارب ضد لويس بونابرت فحملته يد الاستبداد سنة ١٨٥١ الى بروكسيل حيث نفقه هناك ثم انتقل الى جيرسي ومنها الى جيرنزي (وهما جزيرتان انكليزيتان في بحر المانش) ولبت في منفاه ثمان عشرة سنة ولم يرجع الى وطنه الا في سنة ١٨٧٠ حيث برقبسه بان لا يظأ ارضه ما قامت لعرش الملك قائمة

ولقد اسعده النسي بنفحات مدهشات البيان فراق له جو الخيال واوحت اليه الموجددة بدائع البدائه واحسن المحاسن فزف الى القراء من بنات افكار النظم والنثر ما خلب العقول وسحر الالباب فنظم كتابه الذي وسعه (بنابليون الصغير) وكتاب (العقوبات) سنة ١٨٥٣ فكان كافي تنفث سما زعافاً فاغرة فاها نحو نابليون الثالث. ولم يجر يراع كاتب في الحقد والضغن بمثل ما اتى به قلمه في هذا الكتاب. ثم وضع كتاب (المشاهدات) سنة ١٨٥٦ و (سير القرون) سنة ١٨٥٩ وهو من ابلغ ما خطه بنان الشعراء. حشر فيها سير القرون الخوالي من اغلب الامم مما يدل على سعة اطلاعه في التاريخ واطهر فيها رقي الامم من طور الى طور وتدرجهم في الكمال ثم كتاب (البؤساء) سنة ١٨٦٢ وهو نثر وخير ما

كتب في درس الانسانية والحياة الاجتماعية مما تذوب له القلوب حناناً ورحمة وتذرف لهول بؤسه العيون الجامدة دماً وما لم يستطع كاتب ان يأتي بمثاله او ينسجج على منواله و (عملة البحر) سنة ١٨٦٦ و (الرجل الضاحك) سنة ١٨٦٩ و (ثلاث وتسعون) وغيرها

ولما آب الى وطنه بعد سقوط الممليكة وضع كتاب (العام الاسود) سنة ١٨٧٢ ثم الحلقة الثانية من (سير القرون) سنة ١٨٧٧ والحلقة الثالثة منها في سنة ١٨٨٣ و (تاريخ جناية) وقد ذكر فيه حوادث الهيئة الاستبدادية وغيرها من كتب تاريخية وفلسفية وقصصية ورسائل وافكار وخواطر وصار من رؤساء الحزب الجمهوري وكان يطربهم بخطبه الشائقة في العدل والانسانية والتقدم الادبي والاجتماعي الى ان توفي بباريس سنة ١٨٨٥ وهو في الثالثة والثمانين من عمره ومشى في جنازته الوف مؤلفة مما دل على عظم مكانته في قلوب قومه وتمجيدهم له



Napoléon II

نابليون الثاني (١)

سنة ١٨١١ : — عام. وما ادراك ما العام ماجت فيه أُمم لا يدركها
الحصر وقد اضجرهم الانتظار وفنى منهم الصبر . يظلمهم غمّام مكفهر .
مبتهلين الى الله ان يستجيب دعوتهم وينيلهم أمنيّتهم

وكانوا يشعرون ان هذا الملك الواسع الاكناف المترامي الاطراف
يمد تحت ارجلهم رعباً ويرتعد خشية ورهباً محدقين بابصارهم الى قصر
اللوفر وقد زجر فوقه الرعد حتى كاد يدكه كطور سيناء . مطرقين لجواد
بصر بصاحبه يقول بعضهم لبعض ستمخض الايام بمولود ذي شأن
ينتظره هذا الملك العظيم ليليه ويأخذ بزمامه

ليت شعري ما الذي اعدّه الجدد لهذا الرجل الذي يفوق قيصر
ورومية ومن سيضيف حظوظ البشر الى حظه فيسعدون بسعده
ويشقون بشقائه

(١) هذه القطعة ترجها المرحوم الفاضل نجيب أفندي حداد بعنوان (المستقبل
لله) ولكنها مخالفة كل المخالفة لهذه الترجمة واني اتوسل الى القاريء ان لا يتسرع
بتوجيه اللائمة اليّ قبل ان يراجع الاصل الفرنسي

وبينما هم يتحدثون اذ انقشع الغيم المربد^(١) واشرقت السماء رافلة في حاتها اللازوردية . يتلألاً في كبدها بدر هذا المولود الذي اختاره القادر ليقبض على صولجان هذا الملك الفخم . فما كان لهذا الشعب الصاخب^(٢) الا ان صمت واستكان لظهور هذا المولود في عالم الوجود

نفخت ريح هذا الرضيع في قبة دار العجزة^(٣) خففت فيها الاعلام المسجونة واهزت كالسنابل حركتها الرياح . وكان صياحه الرخيم هو الذي اطلق من المدافع المتربة باباه اصواتها المزعجة

نفخت الكبرياء بعرين والده الاشم^(٤) . وكان مطبقاً بذراعيه على صدره ثم فتحهما . تحوطينه ابنه الذي تنبعث من عينيه انوار اضاءت ما حوله وارعد عنها كل طرف كليلاً



ولما عرض الاب وارث عرشه على رؤس الاشهاد من أمم تابعة وملوك خاضعة هاجت به شجونه^(٥) ونظر شزراً وازدراء لمن حوله من الملوك اذ لم ير غير ابنه كفواً لهذه المملكة الشاسعة كنسرحط من على^(٦) فوق قلة^(٧) صائحاً مستبشراً بصوت ملوئه الكبرياء والعظمة: المستقبل لي

(١) المتكاثف (٢) من الصخب اي الالط والجلبة (٣) دار عظيمة من الآثار المشهورة بباريس وبها بقايا نابليون الاول (٤) اي الاتف المرتفع بحسن كناية عن الاتفة وعزة النفس (٥) الهموم والاحزان (٦) اعلى (٧) قمة الجبل

وحدي وطوع بنائي! كلا ثم كلا فالمستقبل ليس لأحد بل لله الواحد
 القهار ولا تترساعة الا وتودعنا الكائنات . المستقبل سر مكنون والارض
 وما عليها من مجد وسعادة وقوة وتيجان ونصر متنازع لطمع اشعبي حقيق .
 وهذه المنح كلها عواري^(١) كطير حط على دورنا فما هو الالحة ويطير
 مهما بلغ المرء من الحول والقوة ومهما ضحك وقهقه او بكى واعول
 لا يستطيع ان يطلع على الضمائر والسرائر ولا ان يقضي على احد قبل
 اجله وساعته



أيها الخيال الاخرس والطيف المثلث يامن هو اتبع لنا من ظلنا يامن
 يدعوك الغد

انما الغد حارت فيه الافهام . وضلت في مفاوزه الظنون والاحلام .
 يبذر الانسان السبب فينضجه القادر غداً فيستحيل من عالم الذر الى عالم
 الظهور والقوة . غداً برق محتجب . ونجم مستتر في السحب . وخائن
 يزج اللثام . ومنجنيق يدك الحصون والمعاقل . وكوكب ينقل من منطقته
 وباريس تتبع بابل . غداً تنوب^(٢) العرش واليوم نخمله ! غدا جواد يخوض
 المعامع مرغياً مزبداً . غداً أيها الفاتح تلهب موسكو في الليل الحالك

(١) جمع عارية وهو الشيء المستعار

(٢) نوع من الشجر يريد نحول عرشه بعد العبث به الى خشب عار بما كان يزينه من القطيفة

كالمصباح في يد المدجج . غداً تغطي جثث حرسك القديم السهول والبطاح .
غداً وأترلو . غداً القديسة هيلانة . غداً الرمس !

انك لتستطيع ان تطأ المدن بسنابك خيل فرسانك . وتحل مشكلات
الحروب بصمصامك . وتسد نهر التاميز والنصر حليفك بحولك وقوتك .
وتحطم الابواب المغلقة بسطوتك وقدرتك . ثملاً بنشوة الظفر . يرنح عطفك
صوت نفيرك . ساحباً ذيل النسيان على كل صيت طائر

أمد الله في أيامك . انك لقادر ان لا تترك من الارض ذراعاً . وان
تنزع أوروبا من شارلمان وآسيا من آل سام ولكن هيهات ان يخضع لك
الغد الى الابد

*
* *

باللنائبات الواعظات ! — لما أخذ شبل هذا الاسد تاج رومية بدل
اللعب حتى ذاع شأنه . ولما أظهره أبوه للملأ وجيئته الملوكي يهتز دهبوا
لعظمة هذا الصغير وهيبته

وقد ظفر والده لاجله بوقائع عديدة وفتوحات عظيمة فجلس بجانب
سرير طفله مبتسماً بادي البشر . وقد كان كبان يعرف كيف يؤسس بناءه
اذ أجهز على الدنيا بضربة معول فأقبلت خاضعة طائعة حسب أمانيه

ولما أتم الوالد ما أعده ليمهر الطفل الحقيقير بالعظمة الدائمة . هيأ له
قصرًا وطيد الاساس متين الدعائم ليحفظ حياة ابنه من العوادي والغوائل

ولما ظمئ النسروجد امام فرنسا كاسا مفعمة^(١) بخندريس^(٢) الامل
وقبل ان يدني هذا السم المموه من شفوية ويدوقه انقض فارس من القوزاق
على الطفل انقضاض العقاب على الظبي وأردفه خلفه على الجواد وفر كالسهم
قذفته القوس

وفي ذات ليلة كان المضرحي^(٣) صافاً^(٤) في القبة الزرقاء اذا اكتشفته
ريج صرصر عاتية كسرت جناحيه فهوى الى الغبراء هوي الصواعق
وانقضت عليه الذئاب الضارية عند وكنه تتقاسمه وتهشه بانياب حداد .
فكان من نصيب انكثرا القشم^(٥) والنمسا الهيثم^(٦)
لم يغب عنك ما فعل بهذا العظيم الهائل فقد زجبه في أعماق السجون
ست سنين وراء أفريقية والبحار

الذني ممقوت كافر! - كان هذا البطل العظيم متربماً في قفصه منحنيماً
تلعب أسنانه بركبتيه . ولو كان قلب هذا الطريد خلواً لكان أنم بالا .
ولكن قلوب الآباء لهي قلوب الآساد اذ كان ابنه آخذاً بشفاف قلبه .
ولم تبق له الدنيا الا ذخيرتين في عرينه صورة ابنه وخريطة الدنيا وبعبارة
أخرى مرمى فكره ولبه وجميع قلبه
وفي المساء كان يسرح الطرف في مخدعه اذ كانت تدور في رأسه

(١) اسم من أسماء الحجر (٢) مملوءة لحافها (٣) النسرو العظيم (٤) من صف
الطائر اذا بسط جناحيه في الهواء وسكنهما فلم يحركهما كما تفعل الحدأ والرخم
(٥) النسرو القوي (٦) فرخ النسرو

الصلعاء أعماله وفتوحاته الماضية. وكان السجانون والديادبة له بالمرصاد ليل
نهار ليقروا ما يرسم على جبهته من الفكر والآمال

ما كان يفكر ساعته في ملحمة كتبها بظبة حسامه. اذ يصف اركول
وأوسترنز ومونيراى^(١). لا ولا الاهرام وباشا القاهرة وصافناته الجياد
التي عضضن صدور خيله. لا ولا الجلال والمدافع التي لبثت تحت قدميه
عشرين سنة واذكت الوغى بقتامها وسحبها السود. ولما هبت ريحها على
هذا اليم الهائج كانت الاعلام الخافقة مائلة في الملاحمة الشواء

لا ولا مجريط^(٢) او قصر الكرملين^(٣) او القنار. لا ولا موسيقاه
تعزف في الصباح لا يقاظ الجند. لا ولا جنوده المعسكرة في السهول من
خيل ورجل بملايسهم الحمراء كزهور ارجوانية نابثة في حقل من الحنطة
بل كان شغله الشاغل عسجد شعر طفله الجميل وورد خدوده وهو
نائم مطمئن بغم يكاد ينطبق وهو كالشرق في بهائه وحسنه. وقد انحنى
عليه مرضعه متلهلة تلغمه ثديها ضاحكة.

رزح الوالد تحت اثقال همومه وشجونه وقد تيمه حب ابنه فأسند
بمرفقيه الى كرسيه وهاجت بقلبه تأوهات مستمرة فتفجر الدمع من
أماقه واسترسل على خدوده . —

(١) الوقائع الحربية التي انتصر فيها نابليون (٢) الاسم العربي لعاصمة اسبانيا

المعروفة بمديرد (٣) كان هذا القصر مقرا للقيصرية بموسكو

بوركت ^(١) من طفل مسكين أثلجت شعوب رأسه . وانك وحدك
القادر على تسليته ابيه وعزائه لملك ضاع وافلت من بين يديه

*
* *

أناخ الدهر بكأكله على النسر وفرخه فالحقهما بخبر كان . فياله من
زمان قاس ابتداء بقهار الجبابة . وغلاب القياصرة . ثم ختمه بعظام رفات
نخره . وقد كفت عشر سنين لنسج اكفان الاسد وشبهه
احتوى اللحد مجدا وصبا وكبرياء . والمرء يود لو يترك له الموت
خلفاً ولكنه لا يسمع له نداء . وكل عنصر يرجع لاصله فالهواء يأخذ
الدخان والارض الرماد والنسيان الاسم

*
* *

بالهياج والاضطراب الذي اجهله وانا احقر الملاحين اذ لا ادرك
كنه ما يعمله القادر في الغياهب تحت اللجج ^(٢) الهائجة الحاقدة عليك
الهازئة بك . واسرار الخالق غامضة يضل فيها النهى . ليت شعري اهذه
الامواج الثائرة . واصوات هذه الحفر المرة المزججة . وهذا التيار الدوار
بمخالبة الهائلة والبرق ولاؤه . والرعد وقصفه ودويه . اليست اللهم صالحة
لدرر البحار ؟

وهذه الانواء والعواصف المخوفة لترتعد امامها الخلائق من امير
وحقير . يا لليم من اعمى اصم اضل من شعب ثائر هائج . وماذا ينفعك

(١) انتقال في الكلام والمتكلم الآن هو فيكتور هوغو (٢) جمع لجة وهي الامواج

نشيدك يا شاعري واغانيك التي يملها عليك الخيال ويردها الصدى في
هذه اللجج الحائرة المضطربة وقد صمت آذانها فلا تسمع لك نداء ولا
غناء ويذهب صوتك صرخة في واد

وانت ايها الطير المسكين الذي تقاسم ريشك الرياح وانت تغني فوق
زبد ذلك الجبار العتيد على سارية جارية ^(١) ضلت سبيل النجاة ! ليل
طويل . وعذاب مستمر ! وساء مكفهرة لا يرى بهار كن رائق . وقد
اختلطت الاشياء بالناس اختلاط الحابل بالنابل ^(٢) وهووا في مهاوي
الفناء وابتلعهم الخضم الغشمشم فكانوا من المغرقين

كل من عليها من ملوك وامراء ونايلون العظيم والصغير طوتهم
الارض في جوفها طي السجل للكتب ومحتهم كما تمحو اللجة اللجة . وكل
من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام

Le Naufragé

الغريق

وأسفا للمرء المسكين تلعب به الكائنات والعوالم لعب الشمال بالشجر.
ثم تقترسه كالسنور يلعب الفأرة ريثما تنبه منه شهوة الطعام ثم يمزقها كل

(١) سفينة (٢) مأخوذة من المثل العربي التبس الحابل بالنابل اي سدى الثوب
باللحمة واما الواردة في المثل الآخر ثار حابلهم ونابلهم فعناء الصائد بالحباله أي
الشبكة والرامي بالنبل ويضرب الاخير للقوم اذا تقلبت احوالهم وثار بعضهم على بعض

مزمق بانياب حداد واظافر كالاسنة . تصعقه الزرقاء ^(١) وتبتلمه الغبراء ^(٢)
 ضعيف تعس منكود . ولد محاطا بحس يثقل كاهله . ويحني عاتقه . يسترشد
 عقله فيضله وبغره . وان أبرق له الالهام ببعض اشعة ضئيلة ليهتدي بها
 في حنادس ضلاله . ادركها القضاء الغامض فطفق يجالدها وتجالده حتى
 تنطفئ وتنعدم

أنهم النظر في البحر واعطف على رابية من الصفا ناتئة من الماء فوقها
 كوخ حقير لصائدي الاسماك . عرشه من بقايا السفن التي حطمتها الامواج
 الشائرة . يحيط به الماء احاطة السوار بالمعصم . وتضمه اللجج ضما غنيفا
 كالافيموان ^(٣) يلتوي على فريسته ببأس حتى يكاد يهشم منها الاضلاع .
 تود لو تزعزع الصخر من مكانه لتفترس الصائد

انكمش هذا البائس الضعيف في كوخه فاصطلحت عليه الانواء
 والاعاصير فلم يستطع ان يبرح مكانه ليكدح لرزقه . عظم واتسع امامه المحيط
 لينصب له شراكه . اكفهرت السحب نخاف منها كل نسر قشيم . واسود
 من القضاء الالهاب ثم اومض البرق وقصف الرعد وصفرت العواصف
 وهاجت الامواج وطفقت تحطم في جدار هذا المنكود . وما وراء هذا
 القضاء وعظمته والليل وظلمته الا الحتف المميت

ماذا تفكر ايها الشقي البائس لتنجو من مطاردة هذه العوالم الحاقدة
 عليك وانت عدوها الالد . اتخذ لك نفقا في الارض ام سلما في السماء .

(١) السماء (٢) الارض (٣) ذكر الأفاعي

أتراك تستطيع الصمود وقد حالت دونه العواصف والانواء واني لك
وانت ترتعد مكانك من هول المنظر . واني لا اخالك الا مقبوراً ضليلاً
طريداً . ليت شعري كيف تنازل هذه القوى العظيمة التي مالها من نقاد
وانت اسير حفرتك

حسبك دفاعاً مع العظمة التي أقبرتك في كوخك وأهاجت عليك
السماء وما حوت والارض وما وعت حتى اغبر وجه الكون عليك اسفاً
واظلمت الدنيا حـداداً . فاخضع ايها الغريق للقضاء واستسلم لهذا اليم
الجبّار العتيد .

وهذه الشمال^(١) العاتية التي أوشكت ان تقوض اركان مأواك . وهذا
الوابل الذي كاد يحرف ذراك^(٢) . وتلك الغياهب التي تهلم لها القلوب .
تبذل الوسع لمحوك وفنائك . وهذا الليل . المقبل بالويل . الذي ترتعد منه
ربحاً سيصب فوق رأسك الاعاصير الهوج^(٣) مع الظلمات . فاجمع اعضاءك
واللتصق بالارض وطأطيء رأسك لما يهب فوقها من العلى دون ان
تسائل السماء المعتمة عن السبب . ودع الهلاك يسيل فوق أعضائك التي
تشلجت من الهول . اذ لا قوة لك ولا حول

(١) ربح الشمال (٢) بمعنى البيت (٣) جمع اهوج ويقال إعصار اهوج وريح هوجاء
وهي التي لا تستوي في هبوبها وتقتلع البيوت

Pour le sable comme pour la femme il y'a une finesse perfide

ان للرمال للبنا خائناً كلين النساء

يشاهد في بعض المواطن من شواطئ بريطانيا الفرنسية واسكتلندا ان المسافرين أو الصائد يأخذ طريقه في مستنقع بعيد عن الشاطئ لا يكاد يظهر مأوه على الصعيد ^(١) فيلاحظ بفتة انه منذ هنية بحس بثقل قدميه وان العراء ^(٢) تحتم ما كالفار ^(٣) تلتصق به نملاه. بيد انه لم يصادف بللا في طريقه ينذره بما يضره له من السوء هذا الرمل الناعم الذي يفوق في الفتك خضراء الدمن ^(٤) وكلما خطا خطوة غارت قدمه قليلا وتركت أثراً لا يلبث ان يمتلي ماء. نبع هذا الماء لينذره بسوء المنقلب ولكن أسبل القضاء على عينيه سترأ فلم يبصره . امامه الشاطئ الرحب سهل ساكن لا يفرق بين صلبه ورخوه فأخذ يواصل سيره ليلبغ الشاطئ . كاد يعتريه القلق . ولأني امرى يقلق ؟ غاية ما هنالك انه اخذ يشعر ان قدميه تزدادان

(١) وجه الارض (٢) المكان المتسع الذي لاسترة به (٣) الزيت
(٤) مأخوذ من الحديث الذي ذهب مثلاً: اياكم وخضراء الدمن أراد بها (المرأة الحسنة في المنبت السوء) والدمن جمع دمنة وهو ماتدمنه الابل والغنم من ابعارها وأبوالها فينزل عليه المطر فينبث كلاً قويا نضراً لانه امتص هذه الاسمدة فتأكله الانعام فيضرها ويمرضها

ثقل كلما خطا خطوة . وعلى حين غفلة يجدهما غائرتين في الرمل اصبعين
او ثلاثة . أو شك ان يشعر الآن بضلاله فالتى عصا الترحال ليبحث عن
الطريق الامين . ثم نظر فجأة الى قدميه فوجدهما غائستين في الرمل .
نزعهما راجعاً القهقري ولكنهما غابتا ثانية الى الكمين . تخلص وارتمى
يسرة فأخذه الرمل الى نصف ساقه . انتشلها وانطرح يمنة فغاص الى ركبتيه .
تحقق الآن من ضلاله فسقط في يده وكاد يقطع سبابه من شدة الندم .
عرف ان قد غره السراب . وتقطعت به الاسباب . فوقع في حباله هذا
الوسط الهائل الذي لا تثبت عليه الاقدام بل لا تستطيع ان تسبح فيه الاسماك .
يحار السكاتب في تسميته . ليس بير ولا بجر . أخذ يفكر في سبيل للنجاة
فرأى ان يطرح حقيقته كالسفين أخذها الموج من كل مكان فقذف الركب
عرض البحر ماتحملة من كل مرتخص وغال لينجوا بأنفسهم . جعل يعالج
النجاة وقد أعيته الحيل فابتلعه الرمل الى ركبتيه . طفق يصيح مستغيثاً
مشيراً بمنديله ولكن الرمل مستمر في اختطافه . فان كان الشاطئ مقفراً .
والديار بعيدة . وعدم النصير فقدحم القضاء وذهب صرخة في واد . فريسة
لهذا القبر السحيق . مستمراً في هويه البطيء في جوف الارض التي لم تمهله
وابتلغته واقفاً حراً في عنقوان صبوته وشرخ شبابه . كلما عالج وقاوم واشتد
في صياحه وصراخه أسرع الارض في ابتلاعه . بنخل الثرى بالتمجيل
بالتقامه ليلترك له من الوقت مايكفيه لوداع هذا العالم ليزداد حسرة على
حسرة ومصاباً فوق مصاب اخذ يسرح الطرف فرأى امامه الافق والاشجار

والرياض الزاهرة ودخان القرى يتصاعد كالسحب وتُرفع السفن الماخرة
في عباب البحر والطير الصادح والشمس المشرقة والسماء اللازوردية

*
* *

وهذه الرمال لهي القبر خرج من بطن الثرى على شكل مستنقع خفي
ليختطف الاحياء الاصحاء

يحاول هذا التمس الوقوف والقعود والاستلقاء بغير طائل . بل كل
حركة يفعلها تزيد في غرسه . فيزأ كالاسود وينهب الارض بذراعيه من
اليأس حتى اذا التقمه الرمل الى صدره رفع ذراعيه وزاد زفيره . ينشب اظافره
في الرمل ويتكى على صرقيه لينسل من هذه الهاوية . ولا يزال الرمل
حتى يصل الى كتفيه ثم الى عنقه فلا يرى منه الا الرأس . لم يبق منه الا فم
يصيح ويستغيث ولكن حنق عليه الرمل فألجمه وسده فلا تسمع له همساً ولا
لمساً . بقيت عيناه تتوسلان بذرف العبرات ولكن سُمّ منهما الرمل فأقفلهما
وصارت تخبط في ليل اليل . بقي منه شعر يلعب به الهواء . ثم خرجت من
الرمل يده واختلج بعض خلجات فاضت بمدها روحه فكان من الهالكين .
وان هي الاهنية التأم فيها الرمل وعاد كما كان سوياً . وطوت الارض في
جوفها بأنسأ كانه لم يك شيئاً

Un Peu de Musique

طرفة من الموسيقى

أرعني سمعك وانظر هذا الغاب وأصخ^(١) لتغريد الطيور في
اوكارها المحجوبة عن الابصار وهذه الجلبة تقترب منا من ضحك
واصوات ووقع اقدام منبعثة من اعماق هذه الادغال السحيقة وقد رمى
البدر لآلآءه الفضي على سوادها وفيها يسمع رخيخ نغمات مزاهر جبال
(انسبروك) التي تمتاز بجبل ملقبضها التي ترن فيه حبة من الرمل
فيختلط هناك صوت الانسان بهذه النغمات مما يحدث اشبه بلحن مبهم
هيا ان اردت ان نتيه في عالم الاحلام فتركب جوادين من حسان
الخيال المطهمة وانك لتجذبين اليك قلبي اذ أريد ان أنتشك من
بين أسرتك

نحن سائران يطربنا شجي شذو العنادل^(٢) في هذا الغاب اذ انا
سيدك وفريستك. فلنسافر فقد اقترب النهار من الرحيل وسيكون جوادي
الفرح وجوادك الحب وسيسيران جنباً لجنب ورأساً لرأس وسنطعمهما
في رحلتنا هذه الشائقة قبلاً بدل الشعير. وانهما يترافسان اذ يضرب
فرسي برجله في احلامي ومهرك يرفس في كبد السماء ونحن في سفرتنا

(١) من اصاخ استمع وأنصت لصوت (٢) جمع غدليب وهو الببل

هذه في حاجة لرحل يتركب من دعواتنا وسعادتنا وبؤسنا والزهرة التي
في شعرك الجميل

خيم الظلام واسودت اشجار البلوط وقد ضحك منا الشحرور
ساخراً من وسواس^(١) السلاسل التي ربطت بها قلبي . وليس الذنب
ذنبى ان لم تهمس اليها الادغال^(٢) والاطواد ونحن سائران متكاتفين
قائلة : فلنحب

كوني لينة حنونة فما ابهج الغاب المبال وقد نجيت^(٣) اغصانه على
اجل شكل

ارى الفراش يتبع انفاسك الشذية . وطيور الليل الحواسد يفتحن
عيونها المستديرة وقد اكدها الحزن والحدور^(٤) وقد املن آنيتهن
مبتسمات في المغاور متسائلات : (هل أصبنا في عقولنا) فهذان (لياندر^(٥)
وهيرو) اذ انسكب ما حملناه من الماء ونحن منصتات لحديثهما الشجي

(١) صوت الحلي او ما شاكلها (٢) الغابات

(٣) من نجوت الشجرة اي شذبتها وقلمتها

(٤) اخترنا نقطة الحور في ترجمة (Nymphes) واعناد اغلب الكتاب على
ترجمتها بالعذارى فلا يفرق القارىء بينها وبين الآدميات وهي في خرافات اليونان
آلهة اناث جميلات كن يعشن في الغابات والمغاور وحول الماء

(٥) من خرافات اليونان ان شاباً من ابيدوس احبته هيروكاهنة الزهرة الهة
الجمال وغرق في ايلليسيون وصار يضرب بهما المثل في الحب

فلنخرج على النمسا ونستقبل سنا القمر بجباهانا وسأكون عظيما وانت
غنية حيث ربطنا الحب بعري متينة لا انفصام لها . ولنسر على الارض
بمهرينا الجميلين ثم نظير في الفضاء بل في الاسرار بل في الذهل ! ثم نعوج
بالخان وننقد صاحبه اجره من ابتسامك وناهيك بابتسام العذارى ومن
سلاي وحبذا سلام التلميذ . وستكونين سيدة واكون (كونت)
وسيفتح قلبي لما سئقصينه من الحديث كما تفتح الزهرة من كمها ونحن
نسامر نجوم الليل المتألقة

النغم شجي يتردد صدهاء تحت الحماثل ^(١) التي ازرقنت من لألاء
القمر ثم يضمف اللحن فينعدم النغم ويحمد صوت الصادح كطير حط
وسكن صامتا

Puisque J'ai mis ma lèvre

اما وقد وضعت شفتي

اما وقد وضعت شفتي على كاسك الدهاق ^(٢) وأسندت بجهتي الشاحبة
بين يديك فاستنشقت عرف زفير روحك الشذي الذي غيب في
بطون النياهب

وحيث أسعدني الجذ بان تصيخي الى الكلمات التي بها تنكشف

(١) ما تكاثف والنفث اغصانه من الاشجار (٢) الطائفة بما فيها من الشراب

اسرار القاب الغامضة ورأيت ثغرك يضحك فوق ثغري وعينك تبكي
فوق عيني . وشاهدت شماعا يلمع فوق رأسي من كوكبك الدرّي الذي
احتجب . وبصرت بورقة من الورد نزعّت من ايامك وسقطت في لجج
حياتي . فالآن استطيع اقول للاعوام التي تكر: مري وسيري فلست
اخاف الشيخوخة ! واذهي بازهارك الذابلة فان لي في الروح زهرة
ناضرة يعجز الكل عن اقتطافها . وان اصطدم جناحك بكاسي التي أرتوي
منها فلا يُسيل منها شيئاً وان ملأتها حتى طفحت . وان روحي لك كثيرة النار
وانت خلو من الرماد . وبقاي من الحب اكثر مما عندك من النسيان



Alphonse de Lamartine

الفونس دولامارتين

نابغة من شعراء الفرنسيين ولد بماسون سنة ١٧٩٠ وبديء تهذيبه في قصر ابيه ببلدة (ميللي) تحت رعاية ام حنون لم ترد منه الا ان يكون مستقيماً طيباً . وبعد ما أتم دراسته في معهد اليسوعيين خرج من بلده سائحاً متجولاً في ايطاليا وسويسرا سنة ١٨١١ ومكث فيهما سنتين الى ان سقط عرش الملك . ورجع فانتظم في سلك الحرس ثم ترك الخدمة عندما أسس (الريستوراسيون ^(١)) الثاني) وبعد بضع سنين عاشها بلا انتظام وضع في سنة ١٨٢٠ كتاب (تأملات الشعر الاولى) التي أعلت شأنه ورفعته الى مصاف فحول الشعراء ونشر بعده بثلاث سنين (التأملات الجديدة) ثم (موت سقراط) و (آخر غناء الحج) و (شيلدهارولد) وفي سنة ١٨٢٩ ظهر مؤلفه (الانسجام الشعري والديني) وفي سنة ١٨٣٠ انتخب في المجمع العلمي الفرنسي وبعد ما تجول في الشرق بترف ورفاهية عين نائباً في مجلس النواب فلب دوراً عظيماً في الخطابة والشعر ولشهامته وعلو أفكاره تبوأ منه المحل الارفع

(١) هو مدة حكم أسرة البوربون من سنة ١٨٢٤ لغاية سنة ١٨٣٠ والثاني منه هو المدة الاخيرة

ثم وضع تباعاً (رحلة الشرق) سنة ١٨٣٥ و (جوسلين) سنة ١٨٣٦ و (هبوط ملاك) سنة ١٨٣٨ و (التفرغ للقريض) سنة ١٨٣٩ ثم عرج على التاريخ فوضع كتاب (الجيرونديين) ^(١) سنة ١٨٤٦ وان كان كثير الخيالات لكنه آية في البلاغة ومن الكتب الخالدة وبعد قليل كان في رأس الحركة الثورية ولما أسست الجمهورية الثانية كان عضواً في الهيئة الحاكمة المؤقتة ووزيراً للخارجية . وقد حازت الخطبة التي القاها في ٢٥ فبراير ضد الثورة استحساناً وشهرة ووجد نفسه في ١٥ مايو عاجزاً عن مقاومة الجمعية العمومية وقد أجهزت عليه أيام شهر يونيه فلم يحز في الجمعية التشريعية الا انتخاباً جزئياً ثم أبعد استبداد شهر ديسمبر عن السياسة نهائياً وأشهر مؤلفاته بعد سنة ١٨٤٨ (المسارقات) سنة ١٨٤٩ و (جينيفيف) و (نحات احجار سان پوان) سنة ١٨٥١ و (جرازيللا) سنة ١٨٥٢ و (دروس علوم الادب) سنة ١٨٥٦ وكانت اواخر ايامه كلها بؤساً متواصلاً وعاقبه كده واجتهاده بالفقر المتواصل والجاه نكد الايام لان يقبل من الحكومة الملكية ٥٠٠٠٠٠ فرنك هبة يعيش من ريعها سنة ١٨٦٧ ومات بعدها بستنتين سنة ١٨٦٩ في دار بياسى (من ضواحي باريس القديمة) التي منحها من مدينة باريس وكان كتابه (تأملات الشعر الاولى) لفرنسا شعرا جديداً خرج من

(١) حزب سياسي ظهر مدة ثورة سنة ١٧٨٩

صميم فؤاد الشاعر حاوياً لدقة الصناعة وحماسة المحجة وسلاسة النظم ترجم فيه عن انفعالاته وآلامه غير ما حوى من المباحث الفلسفية والدينية. اما كتابه (الانسجام الشعري والديني) فيعوزه كثير من صفات السابق . ولقد بهر الناس بكتابته (چوسلين) وهو رواية نظمية من ابداع ما كتبه وان كان انتقد في بعض مواضع منه لتقصير في صوغ القريض فان عدداً عظيماً من صفحاته كان نموذجاً للنظم ومثالاً للبلاغة والفلسفة . واما مؤلفه (التفرغ للقريض) فان العيوب تشوبه من كل ناحية وهو غزير المادة عظيم الفكرة ولكنه ضعيف الصياغة وبه بعض قطع رقيقة العبارة دقيقة الاشارة

وقد انتقده احد الادباء العصريين (المسيولانتيلاك) في كتابه (علوم الادب الفرنسية) فأنحى عليه بحر الانتقاد ولكنه مصيب في رأيه حيث قال : « كان لامارتين نائباً وخطيباً ولكنه ليس بالرجل السياسي وكان في آخر عهده يجلس النواب يجلس بينهم وكأنه في عالم آخر ويتكلم ويذهب قوله من النافذة ادراج الرياح . ومؤرخاً وليس من فرسان ميدان التاريخ وروائياً كثير التكلف دون ان يكون له صفة في الفن وممتقداً وليس للانتقاد اهلاً ونائراً ولم يوهب سلامة الذوق في النثر ورغماً عن قلبه في جميع هذه الفنون فانه لم يتقن غير صناعة القريض التي امتاز بها وحدها وبرز فيها على الاكثرين من فحول الشعراء

Le Chien Du Solitaire

كلب المنفرد

لهني على من يلج داره القفرة الموحشة ولا يرى عند اقترابه نافذة
 مفتوحة او تحدته نفسه بمن يلقاه عند قدومه بالأيناس والترحاب او يحفل
 به من اخت او حليمة او أم يرقن عودته رقة الاعياد ويستطلع منه بالطلائع
 والرواد ويمددن خطواته ويتهلان بشراً وفرحاً عند اقباله حتى تكاد جدران
 البيت تنتمش وتدب فيها الحياة لتكلاه^(١) بصنوف الوقاية والحنان
 شتان بين سعادة هذا وشقاء وحيد منفرد يدخل ذراه صامتاً فلا
 يسمع وقع خطوات تلقاه او صوتا يرن في أذنه او يجد فرداً يشاطره آلامه
 ويقاسمه شجونه غير هذا الكلب الودود القديم الذي ينبج حينما يسمع
 خطاك . ولا قلب يفكر فيك وينتظر مجيئك سواء
 وعينه التي تشاهدك في حلك وترحالك وان كانت لا تستطيع البكاء
 لكنه حينما يراك باكياً يفهم حالتك فيكاد ينفطر منه القلب رحمة وحنواً
 لك . لا يرفع عينه من مرمى نظرك ولا يحولها عنه وان غبت اصبح حائراً
 يقلب طرفه في انحاء البيت كأنه ينشد ضالة . وان هذا ليأخذ بمجامع
 القلوب بيدانه من الغرابة بمكان

(١) من كلامه حفظ ورعى الشيء

ايها السكب الامين ! ان الله يعلم ما بيننا من البون الشاسع والفرق
البين بين الهامك وعقل سيدك وهو وحده الذي يدري سر ارتباطنا
حياتك في النظر الى سيدك وموتك في موته . واي شفقة وحنو

منحتهما من الخالق حتى انك لتحب من يكرههم جميع الناس
وان كنت ايها الحيوان راقداً في مواطىء النعال فلا اذكر ان قدي
مستك يوماً ما اختقاراً كما انى لم ازجرك قط بكلمة تجرح حناك
ورأفتك . لم ارغب عن ملاطفتك او امل منها وما برحت محترما طيبتك
واخلاصك للذين لا يوصفان . وحامداً الخالق على هذه المنحة التي
اودعها فيك وجعلك بها

وكما ينبغي لنا ان نحترم احقر مخلوقات الله اجد منك بجامع الخلقة
والعواطف الشريفة مخلصاً وصادقاً حميماً

وحينما تقع عينك على عيني تتناجى النواظر وتترجم عن القلوب .
وان الم بي السهاد . وتجنأ جنبي عن الوساد . وانت بجانب سريري بالمرصاد .
يكفي لأيقاظك نفس مضطرب مني

تقرأ شجوني في عيوني الكسيرة وتبحث عن همومي في ثنيات اسرة
جيني وتجتهد في تسليتي بمداعبتى عاصباً بلطف يدي المتدلية بجانبك
وعينك كالمرآة الراقدة اذا واجهتها لا يلبث ان يرسم فيها حزني
وفرحي . ! ونفسك شريفة عالية وحبك لا تدركه العقول

لست في القلوب شيئاً وهمياً تحتقره العواطف او جسماً حياً تحركه

الملاطفة . يخدع الناظر بحركاته وتصنعه الوداد والرفق

وحينما تنطفئ هذه المواطف الشريفة من عينك لا أعلم في أي
سما تنشر وتحشر . ولا ريب أن الإنسان والنبات لا يموتان وتندم منهما
الروح بل يميتهما الخالق زمناً ما ليعثهما بعد امد ويجمع بين الأرواح
واجسامها . وقدرته عظيمة تسع جميع الخلائق وستحلب في الآخرة كمهدنا
في الدنيا

ومهما كان البون ^(١) عظيماً بين الإنسان والمجاوات والنباتات فإن
الحب المتبادل بينه وبينها سيخلد ولا يتغير في الدار الآخرة . كما أن القادر
لا يطفىء نوره الذي يتلأل في نجوم الليل الشائقة . وكذلك نظر هذا
الكاب الاندلسي الفاتر الذي يشف عن الحنو والشفقة والأمانة وهو
الذي كان يقود الأعمى الفقير وأودى حزناً على لحده

تعال أيها الصديق الحميم الذي يأنس ويضطرب من وقع أقدامي وأنا
داخل البيت . ولا تظن أنني سيحمر مني الوجه خجلاً أمام الخالق لحي
لك . هيا جفف مدامع عيني المغرورة بأسانك . وأدن قلبك من فؤادي
لنتمتع بحبنا ونمثل برحيته

L'Isolation

الغزلة

طالما كنت أجلس في الجبل تحت ظل شجرة من البلوط وقد خيم
الحزن على صدري فكنت أسرح الناظر في السهول التي نشرت امامي
احاسن محاسنها يتلو بعضها البعض وقد اخذت زخرفها وازينت وأبنت من
كل زوج بهيج . وقد آذنت ذكاء بالغروب مرتدية حلتها الصفراء
تعلوها الكتابة . ولا ادري ان كان ما ألم بها توجماً ورحمة لي أو من ألم
البين والفراق

امامي النهر يزجر بأمواجه الزاخرة المزبدة . وينساب كالافني وسط
الرياض . وهناك البحيرة الساكنة كالمرآة الصقيلة . وقد ارتسم كوكب
المساء على صفحات الماء . وكانت الجبال التي تحوطني متوجة بغابات قائمة
رعى عليها الشفق أشعته الاخيرة

لم تك هذه المناظر الجميلة لتروقي أو تنفخي ببعض سرور ينعش
القلب . بل كنت اشاهد الارض كظل متنقل . كما ان شمس الاحياء
لاتدق الاموات

كنت انتقل الناظر من اكمة لأكمة ومن الشمال الى الجنوب ومن
الشرق الى الغرب فلم أظفر بهناء يخفف مابي من ألم الكتابة والوحشة
ماذا تقيدني هذه الوديان والقصور والاكواخ التي لا اعبأ بها اذ

لا اجد فيها ضالتي المنشودة . وما كانت لتشرح صدري هذه الانهار
والصخور والغابات مع ما انا فيه من الانفراد والعزلة . وان غاب عن عيني
عزيز واحد فالدنيا بأجمعها تكون امامي قفرة موحشة

لا احفل بشمس تتبعها عيني في مسيرها من الشرق الى الغرب جارية
في سماء صافية او مكفجرة اذ لا انتظر شيئاً من الايام

وان استطعت ان اتبعها في مجراها لكنت أشرف على الجو والصحاري
ولكني لا ارغب في شيء من جميع ماتيره ولا اطلب امراً من هذا
العالم العظيم

ولكن ربما كان بعد هذا الكون عالم آخر تضيئه الشمس وتظله
سماء اخرى . ولو تسنى لي ان اترك جثمتي في الارض واصعد بروحي الى
السماء لانظر بعيني ما اراد في الاماني والاحلام . فهناك انتشي من رحيق
المنبع الذي آمله واجد ما أطلبه من الامل والحب وهذا غاية ماتشهييه
الانفس وليس له اسم في المقام الديوي . فلم بعد ذاك امكث في الدنيا
دار النفي اذ لا علاقة لي بها ولا شأن لي فيها .

مثلي كمثل الورق الذابل حينما يتساقط من الغابات في المروج فتحمله
الريح الى الوديان فاحملني مثلها ايها الشمال العاتية !

L'Automne

الخريف

سلام ايها الغاب المتوج ببقية من الخضرة ! وقد اصفرت منك
الاوراق وذبلت فتناثرت على العشب . سلام ايها الايام الاخيرة من
دولة الجمال والهناء ! واني ليروقي النظر الى حداد الطبيعة على محاسنها التي
انقضت وفات اذ أجرع ما تجرعه من الالم . وبودي لو انظر النظرة
الاخيرة لشمس باهتة تكاد اشعثها الضئيلة تنير ما تحت قدمي من ظلمة
الغاب وفي هذه الايام من الخريف التي تحتضر فيها الطبيعة أجد في نظراتها
التي يغشاها الموت ارتياحاً وابتهاجا . وان هذا الوداع من حبيب وابتسامة
اخيرة من شفتين اقرب منهما ديب الموت ليطبقهما اطباقاً لا انفتاح بعده
وحري بي وقد كدت اتأهب لفراق افق الحياة باكياً اياما طوالا
واملا لم ادركه ان ارجع على عقبي واشاهد بعين ملوؤها الحسد نماً لم اتمتع بها
ايها الطبيعة الجميلة الحلوة بأرضها وشمسها ووديانها لك عندي دمة
أوذيها وأنا على شفا الرمس . فلهواء يتضوع نشره والضوء زاهني والشمس
تحلو وتجمل في عين المائت

اني اود ان لا أبقى في هذا الكـ^(١) قطرة مما امتزج فيه من الرقيق

(١) غلاف الزهرة الذي يحيط بالازرار قبل تفتحها ويقصد به هنا الشاعر عينه

ويود لو يستنزف منها دمها

ومرارة العيش . ولكن ربما بقيت في هذه الكاس التي شربت منها
الحياة قطرة من العسل . او ينظر الى المستقبل بعين عنايته ويرجعني الى
السعادة والهناء . اللذين خاب فيهما الرجاء . او اجد بين هذه المجموع روحا
لا اعرفها علمت جليّ حالي فاقبلت لتنبليني مناي
وحينما تسقط الزهرة ترد طيها الى الصبا وحياتها الى الشمس وتودع
الدنيا بين يديهما بينا اموت وروحي وهي في النزع يسمع لها نغم شجي
تذرف له العيون وتحقق منه القلوب

Un Village des Alpes

قرية من جبال الألب

يرى الناظر جبال ساقوا الشواحق وقد اكتست بحلله السندسية
وتجلبت برياضها الأريضة الغناء وسد الصخر مسالكها فلا يشاهد فيها
الانسان غير المهاوي التي ترتعد منها الفرائص وتقشعر منها الجلود اذ يرى
نفسه معلقاً في الفضاء فوقه السماء وتحت قدميه مهوى سحيق تهلع من
هول رؤيته القلوب

لم يترك الصفا محلا للطين الا الصدوع^(١) فتكاد تنشب فيها الاشجار
جذورها والبرور شطأها وقد عظم بهذه المواطن القسطل ورسخت اصوله

(١) الشقوق

في فروج^(١) الصخور وتدات افنانه فوق المهاوي السحيقة المظلمة . وانتثر فيها المنثور وتضوَّع شذاه

ترى ما استوى من اعالي الجبال وهي في لونها الازرق ومسالكتها
اليضاء وعلى كشب منها حقول البر على وشك الحصيد وقد أزرت صفرتة
بالمسجد والغابة الحالكه وهي وسطه كنقطة من العنبر في صحيفة من
الذهب وانعكست الوان السماء على صفحات ماء البحيرات وهو في سكونه
كماوية^(٢) الحسناء وقد نبت تحت ظلال القسطل^(٣) الوارفة الكلاء^(٤)
الاخضر الغض فترى سوقه التي قرضتها ثنايا الغزلان والاروى فغلظت
واخشوشن زغبها وتخلله قطر الندى كمنثور الدرر او دمع العاشق

وفي فصل الربيع وهو اقصر من ابتسام البرق يثل نسيمه من اريج
وروده وازهاره وقد احاطت بالافق جبال من الثلج بيضاء ناصعة تأخذ
بالابصار كقوارير البلور وحينما تبدأ العواصف وتظهر قم الشواهد ترى
السماء صافية لابسة ثوبها الازوردي

وفي هذه الغزلة لا تسمع الا اصوات الصبيان وخوار العجول وصوت
الجلال المعلقة برقابها فترن من قفزاتها وطفراتها وخرير السيول المتحدرة
من اعالي الاطواد مما ينسأه السمع لكونه اعتاده وألفه . وهذه الاصوات
بمجموعها اشبه بصوت صااح لا ينقطع غناؤه الجمهوري الرنان

(١) بمعنى الصدوع (٢) المرأة (٣) المعروف عند العامة بأبي فروة (٤) الحشائش

والاعشاب

وانتثرت الاكواخ تحت الاشجار في ظلالها الظليل من غير نظام ولا ترتيب وكأنها نبتت كما تهوى مع هذه الغرائس . وترى اهلها المساكين يتقاسمون بينهم الدعة والسكون . راضين بعيشهم الهنيئ وكل يمرح تحت ظل شجرته وامامه حقله . فتراه في الصباح على باب داره وفي المساء داخلها وقد اكتنفهم الصفاء وخيم عليهم الهناء

A une Fleur séchée dans
un album

زهرة جافة في كتاب

عاودتني الذكرى فتذكرت يوما اختلسناه وذهبنا الى شاطئ البحر وقد رقت وراقت السماء ولم يشب صفاءها غيم ولا اعصار . تظلنا شجرة من البرتقال كاسية من زهرها الابيض الناصع تضوعت رياها فشمنا من عرفها الشدي

امامنا بحر ازرق يعب عبابه ولا يرى له ساحل وكانت ازهار البرتقال المتناثرة تهوى على رأسي وتجلاني كهطر من الثلج . وقد جعل الكلاء الارض يبساطه الاخضر وتخللته ازهار جميلة متنوعة ينبعث منها عبق لطيف عطر الارجاء والاندية بنشره

ايتها الشجرة النابتة بجانب المعبد الدارس الذي بطش به كره الغداة
ومر العشي . لقد توجت هذا العمد بافنانك النضرة وازدان هذا الطلل
البالي بزهرك المونق . ولقد قطفتك ايتها الزهرة البديعة البيضاء
ووضعتك فوق صدري لانتعش من استنشاق طيبك ونشرك . والآن
وقد انقضى ذاك اليوم بسماؤه ومعبده وبحره وشاطئه وحملت السحب
عرفك وسارت به الى حيث تشاء اجد وانا اقلب صفحات كتابي رسوما
عفت واثارا درست من يوم جميل هنيء



Alfred de Musset

الفريد دوموسيه

نادرة من فحول شعراء الفرنسيين ولد بباريس سنة ١٨١٠ ومات
 بها سنة ١٨٥٧ وهو ثاني انجال (موسيه باتي) تعلم في كلية هنري الرابع
 فكان من اقرانه فيها (الدوق دورليان) وبعدهما تردد بين الحقوق والطب
 والرسم والموسيقى انقطع لعلوم الادب
 وفي الثامنة عشرة من عمره الحق بالمعهد الادبي عند (نوديه)
 وكان مخصصاً للمذهب المطلق^(١) فوضع بعد دخوله بستتين كتاب
 (قصص اسبانيا وايطاليا) سنة ١٨٣٠ فكان له استحسان عظيم و (دون
 پايز) و (الاندلسية) وقصيدة في القمر وغيرها فكانت من نفثات
 افلامه وهو في شرح شبابه مما سحر الناس برقته المتناهية في الشعر
 ورشاقته البديعة في صوغ القريض حتى نهض بالمذهب المطلق
 ورفع شأنه

وقد حلّى طروس (مجلة باريس) ببدايع رواياته مثل (ادعية لا
 تجسدي) و (اوكتاف) و (فكر رفايل السرية) ثم ظهرت رواياته
 (١) من ضمن اقسام الشعر الفرنسي قسماً عظيماً : المقييد (Classique)
 وهو ما تقييد بما سبّه القدماء من شعراء اليونان واللاتين والمطلق (Romantique)
 وهو مالا يثقيد بشيء وهو عكس الاول

التمثيلية (ليلة في فينيزيا) و (منظر في كرسي) سنة ١٨٣٢ و (الكأس والشفقات) و (فيم تحلم الفتيات) رواية لطيفة و (شجرة الصفصاف) صرثية و (نامونا) قصيدة طلية بلهجة تهكم رقيقة

وعلاوة على اقتداره النادر في بث تأوهات التي تكاد تسممها من بين سطور ه فانه كان يجاري بعض الشعراء في مذاهمهم لاسيا (بيرون) الشاعر الانكليزي المشهور ونخص بالذكر (رولا) سنة ١٨٣٣ فانها من اسلوب الشاعر السابق ولها رنة مؤثرة نغم فيها الهيام

ثم اصابته نوبات وفلاقل حولت ذكاه من طور الى طور ارقى منه سببه له الحب اذ احب (جورج صاند) الروائية الشهيرة و احبته وسافر معها في شتاء سنة ١٨٣٣ الى ايطاليا متنقلا بين جنوه وفلورنسا وبولونيا وفيرار ثم اتى عصا الترحال في فينيزيا وهناك شجر بينهما خلاف شديد افضى الى الانفصال بسبب انقلابها وخيانتها عهده . فرجع الى باريس وحده في ابريل سنة ١٨٣٤ وقد انهكتة الشجون وتيم الهوى المبرح وسحقته هذه التجارب ولكن كان لها الفضل اسكونها صيرته شاعرا مجيدا من اوائل الشعراء كما اشار بذلك في عرض كلامه في قصيدة (ليلة من تشرين الاول) حيث قال :

« وقصارى الكلام ان بليتك هي التي انارت قلبك فالفادحات والأوصاب بمثابة المعلم والانسان كالطفل المتعلم وبقدر الرزايا تكون المعارف . وانها لشرعة قاسية ولكنها حكمة بالغة قديمة كالدينيا ونسكدها »

ومن سنة ١٨٣٥ الى ١٨٤٠ ظهرت معجزات قريضه وثره وصوت
آلامه في الحب والشك والسلوان وهي (لياليه الاربعة) التي سارت
بذكرها الركبان: (ليلة من ايار) و (ليلة من كانون الاول) و (ليلة
من آب) و (ليلة من تشرين الاول)

ففي الاولى يبكي (موسيه) من خيانة حبيبته ويعرض عن الطيف
الذي يدعوه الى الغناء. وفي الثانية يبحث في العزلة عن شفاء آلامه
واوصابه. وفي الثالثة يعاود قسمه بان لا يفتح قلبه للحب. وفي الرابعة
يزعم انه طاب ويود ان يقص اخبار آلامه التي يدعي انه برىء منها
ولكنه عندما سردها كادت تجهز عليه وطأة الانفعال فاخذ الطيف عليه
موثقاً بالغفران والنسيان

وهذه الليالي مع (رسائله الى لامارتين) و (تذكار) هي التي رفعت
الى مصاف فحول الشعراء الذين يشار اليهم بالبنان. ولم يلهم شاعر غيره ان
يوفق للاتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً
ياخذ العجب القارئ لم خص هذا الشاعر وحده بهذه الهبة الجليلة؟
هذا لانه احرقه الجوى وبرى اعظمه الهوى واذاب ماعلى فؤاده من
الحجب فاستنار بنور الحب عقله وجنانه فكان يعبر عن وجدانه وشعوره
كما يصف الناظر المراثيات. وغيره لم يجمع بين الوجد المبرح والبلاغة
الساحرة فتراه مهما كان مقتدراً على القريض وحاول ان يصف الهوى
فانه لا يصفه الا وصفاً خيالياً سمجاً تمجه الاذواق وتزدرية الاذهان

وبعد (الليالي) ظهرت قصيدته (الامل في الله) ورواية قصصية كبيرة كتبها نثراً وسماها (اعتراف طفل من ابناء الجيل) سنة ١٨٣٦
سرد فيها الشاعر وقد قارب الشفاء ما اتياه من مريض الآلام ثم (نعمة طيبة) وهي بديعة النظم شائقة المعاني

وكتب عددا عظيماً من الروايات التمثيلية كان لها نصيب وافر من الرقة والبلاغة تماثل في اسلوبها روح شكسبير منها (فانتازيو) و (اهواء ماريان) سنة ١٨٣٣ و (لورينزاشو) و (لايمزح بالحب) سنة ١٨٣٤ و (باريرين) سنة ١٨٣٥ وغيرها

وفي أواخر ايامه أنهكه التعب والمرض من الافراط في الملذات^(١)
فضعف ذكاؤه وفي سنة ١٨٥٢ انتخب في المجمع العلمي الفرنسي بعدما وهت قواه الجسدية والعقلية وما فتئ مرعياً في فرنسا بأنه اكبر الشعراء في الحب واصدقهم وأشدهم تأثيراً

(١) كان حبه مبرحاً متيناً فكان يعتكف في داره ممضياً وقته في البكاء والتجيب

حتى جن في اواخر ايامه من شدة الحب وكان يكثر من شرب الابسن وقت انفعاله واضطرابه ليخفف مابه من وطأة الحزن والبكاء

La Nuit d' Octobre

ليلة من تشرين الاول

الشاعر

أصبحت والحمد لله لا اذكر مما تكبدته من الآلام. فيما سلف من
الايام. الا كطيف خيال او ضباب خفيف اهاجه الفجر ثم لاحت بعمده
تبشير الصباح وابتسام النسيم العليل . بين الندى البليل
الطيف (١)

ما الذي دهاك يا شعري وأي عناء خفي أن منه قلبك حتى صرمت
حبالي وصرتُ اتلهم لسبر هذا الداء الكمين الذي طالما أنضب مني الدمع
الشاعر

قد كان المأ معروفًا بين الخاص والعام . ولكننا اذا شعرنا ببعض
السأم حل القلوب تصورنا لقصر العقول اننا أول من احس بالداء
الطيف

انك لارفع مما اتصفت به فالنفس العلية لا تتألم من الحادث الجلال .

(١) من خرافات اليونان ان المشتري إله الآلهة كان له من (ميموزين) إحدى
زوجاته تسع بنات يعرفن باسم الموز (Les Muses) واختصت كل واحدة منهن
بفن من الفنون وصارت إلهة له . وفي هذه القطعة تخيل الشاعر أنه يخاطب طيف
(موز) الشعر فلذلك فضلنا التعبير عنه بالطيف بدل (موز) او إلهة الشعر

وما الذي حرك منك الآن أيها الحبيب ما سكن من أليم الذكرى . فافتح
لي صدرك وخبرني عن موضع دائك فقد لقيت من لا يضيع عنده السر .
وان السكوت لاخو الموت . وفي الشكوى الى اخي المروءة سلوان وعزاء .
كما قد ينجي الكلام من وخز الضمير والندم

الشاعر

وحيث لا مناص لي الآن من بث الشكوى . وشرح ما صدع الفؤاد
من الهم والبلوى . واني لأحار في تسمية هذه الآلام احب ام جنون
ام كبرياء . ولا ادري ان كان اصاب احدا قبلي ما اصابني منه . وحيث
خلت بنار الدار فاجلس لاقص عليك الحديث وهاك الكنارة^(١) فايقظ
مني الفكر بنفماتك العذبة

الطيف

خبرني يا شاعري قبل سرداوصابك واشجانك ان كنت برئت
منها وعوفيت . فتكلم ودع الحب والحقد جانباً . ولو فكرت اني وسمت
باحب الاسماء والطفها الا وهو المعزي المسلي نافي الاحزان والاتراح .
فلا يجربك الظن اني كنت قرينك فيما ذهب عنك من الجوى المبرح

الشاعر

قد انقشع الداء وتم الشفاء ولم يبق منه في الذاكرة الاخيال . وحينما

(١) آلة موسيقية باوتار كانت تستعملها العرب واطلقناها هنا على (الدير) وهي
آلة موسيقية وترية كانت مستعملة عند قدماء الافرنج

يدور بخلدني ذكر المواطن التي خاطرت فيها بروحي اتخيل اني ارى مكاني
انساناً غيري واني لست بطل القصة. فيها تجاذب اطراف الحديث باطمئنان
ونتساجل بث الشكوى . فما احلى البكاء والابتسام عند تذكرا الاوصاف
التي يتسنى لنا نسيانها

الطيف

احنو واعطف على قلبك المنفطر كأَمْ حنون ساهرة بجانب ولدها
المحبوب . واني لارتعد كالريشة في مهب الريح فوق هذا القلب الذي
طلما كاتمني ما انتابه من مضض الوجد ولوعة البين . وها انا يقظ وكنارتي
مهيأة لرقيق النغم وشجيه لتتبع لهجة صوتك الحزين على انني عن قلبك ما
ما علق به من الهموم والآلام

الشاعر

لا يعد من عمري الا ما قضيته في العمل . فخبذا الوحدة وحدا
لله الذي حجب اليّ الانقطاع عن العالم وانمكافي في غرفة مطالعتي هذه
كمسكين بائس . ولكم افقرت بي الدار وافقرش الغبار المقاعد ولا انيس
لي الا المصباح فنم هذا القصر بل كوني وعالمي الصغير . . وانت ايها
الخيال الخالد . هلم نفني فاني احب ان اطلعك على اعماق قلبي وساقص
عليك ما تحدثه المرأة من المصائب وما رمتني بها احداهن وربما لا تجهلها .
قد سلبتني النهى وصرت لها كالرقيق فاقد الارادة والقوة . بيداني كنت
احسبني راتماً في بحبوحة الهناء والسعادة . وكنا نتمشى على كشبان الرمل

الفضي على مقربة من الغدير وامامنا على مرمى النظر شجر الحور الابيض
يمبث النسيم بقامته الطويلة الهيفاء التي كانت بمثابة دليل على الطريق
الذي نؤمه وكنت ارى في ضوء القمر هذا الجسم الجميل يتثنى بين ذراعي
كجاء الجداول ونحن سكوت والهوى يتكلم

وما كنت لافكر لاي شأ وتطوح بي السعادة والهناء . ولا ريب
ان نار الغضب التي اتقدت في قلوب الآلهة كانت في حاجة لقربان تأكله
لأنها حنقت علي واقصت مني لكوني اردت من باب التجربة ان
اكون سعيداً

الطيف

ان خيال التذكار الهنيء جاء طارفا ذاكرتك ليخيم في رسومه القديمة
فلم لاترغب ان يسير سيرته الاولى وذلك خير من جحود ايامك الحلوة
الرغدة . وان كنت قد عثر بك الجد ايها الفتى فاعمل على شاكلته وابتم
لايام حبك الاولى

الشاعر

كلا تخليق بي ان ابتم لا يمي المنكودة كما انبأتك من قبل ايها الخيال
واني اود ان اقص عليك بلا تأوه ما انتابني من الاماني والالام
والبُحْران^(١) والزمان والمكان

ففي ليلة على ما اذكر من تشرين الاول كثيفة قرة^(٢) هي وليلتنا هذه

(١) اختلاط العقل عند نوبات المرض الشديد (٢) شديدة البرد

صنوان او توأمان وكانت رياحها تعصف بنفمة واحدة فتحرك من رأسي
التي اجهدتها النصب ماسكن من مر الشجون والاتراح . وكنت مشرفا
من النافذة منتظرا حبيتي منصتا كأن على رأسي الطير في ظلام حالك لجاش
القلق بخاطري وساورتني الظنون والاهام حتى مثلت امامي الخيانة وكان
الحلي الذي اسكنه معما قفراً لا يرى فيه الا نفر قليل من السابلة ^(١) بأيديهم
مصايح . وكان كلما هب النسيم من الباب يسمع له على بعد صوت اشبه
بأنين انسان . وما ادري كيف اعبّر عما دار بخلدي من التشاؤم حتى غبت
من القلق والحيرة عن الصواب . واذا كر انه بقي لي مسكة من القوة فلما
دقت الساعة افشعرت وارتعدت فرائصي ولم تقبل بعد فبقيت وحدي
مطرق الرأس اسرح الطرف في الطريق . واني لم اخبرك بعد بأية جراءة
أضمرت هذه المرأة المتلونة في قلبي نار الحب اذ كنت لا احب غيرها في
العالم ولا استطيع ان أحبي بدونها يوما واحداً . فتمثل لي النحس بصورة البشع
من الموت ولا فصم ما بيني وبينها من عرى الالفة والمحبة لم ادع في جمعة
اللعن لفظاً او معنى للغدر والخيانة الا ووسمتها به . وانتظمت امام ناظري
جميع المصائب التي رمتني بها فلم يفتني المد والحصر . فوا أسفا على ذكرى
جمالها المشؤوم فكى سببت لي من بث وهم لم يلطفهما سلوان ولا عزاء .
فما عثم ان لاح الفجر وأنا منتظر بغير طائل ولا جدوى . وكنت
بجانب الشرفة وقد داعب النعاس عيني فأغفيت ثم صحت فرأيت تبشير

(١) المارون في السيل أي الطريق

السحر فرددت طرفي فجأة في اطراف الطريق الضيق فسمعت وقع اقدام خفيفة فقلت اللهم تداركني بقوتك فاني اراها وهي عيناها فدخلت فقلت لها من أين اقبلت وما فعلت الليلة؟

اجيبيني . ماذا تبغين مني . وما الذي طوح بك الي في هذه الساعة .
واين استلقي هذا الجسم اللطيف الى الصباح مع أنني لم ابرح مكاني وحيداً ساهراً باكياً . اين اضطجعت ولمن جدت بابتسامك ؟ . يالك من غادرة خائنة جسورة . امن الممكن ان تجيئيني لتقديم ثغرك لقبلي فبهات هيات لما تبغين وبأي شوق قبيح تجترئين ان تعانقيني بأذرع ملء منها وملت فاذهب واغرب عني ياخيال الخليفة وارجع الى رمسك ان كنت أنشرت منه ودعني انسى زمن صباي مدى حياتي واذا تذكرتك تحققت بان لست الا في عالم الاحلام

الطيف

ناشدتك الله ان تلطف مابك فاني اقشعر من حديثك وان جرحك ايها الحبيب مهياً للانفجار ثانياً اذ اندمسل على الصيد والاذى . واهاً لدنيا لا تنسى مصائبها عاجلاً الا بعد ذكر السنين . فانس جهد استطاعتك ممرض الايام واطرد اسم هذه المرأة التي لا اريد تسميتها من ذا كرتك

الشاعر

خزيا لك يا من هي اول من علمتني البغض وأفقدتني الرشد من الغضب والانزعاج . تبأ لك أيتها المرأة التي سحرتني بعينها فوقعت في حباله

هذا الحب المشؤوم الذي أقبر ربيعي وإيام هنائي في عالم الخيال. وإن صوتك
وابتسامك ونظرك المفسد المضل لهي التي علمتني اللعن والسباب . ورماني
في مهاوي اليأس صباحك الفتاك وجمالك الفتان

عار عليك فاني لم اك بعد الا ساذجاً كالطفل وكان قلبي كزهرة في
الفجر لم تفتح من اكمامها الا لحبك . ولا ريب ان هذا القلب الذي لم يجد
له غوثاً ذهب فرطاً ولو تركته بُراء لكان أسعد حظاً . فضحك يا علة
ضري ووسواسي يامن فجرت ينابيع الدمع من آماقي وجفوني ولبث سائلاً
مسترسلاً لا يحفف له نابلاً من جرح لم يبرأ بعد. ولكني سأظهر في هذا
الينبوع المرعلي أترك فيه درن تذكارك الممقوت

الطيف

حسبك ما فاسيته من هذه الخائنة . وحيث ان أمانيك لم تلبث الا
عشية أو ضحاها فلا تفضح هذا اليوم حينما تذكرها وان أردت ان تحب
فاحترم الحب .

خالق الانسان ضعيفاً فتراه لا يقوى على الغفران لمن اساءه الا بجهد جهيد
فاغرم الراحة من عذاب البغض والحقد وان اعوزتك المسامحة فعليك
بالنسيان وكما ان الموتى نائمون هامدون في بطون اللحد يلزمنا ان نخمد
عواطفنا في رموس القلوب . وذخائر الافئدة المغبرة يجب علينا ان لا نمد
يدا الى بقاياها المقدسة. ولم أراك تن من سرد مصابك وعذابك وتبتغي
ان لا تراه الا في عالم الرؤيا أو كحب كاذب كبرق خلب . اتخال ان القضاء

يسير بغير حكمة ولا سبب وتظن ان الضربة التي أصابتك ضربة طيش .
 كلا فعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وربما كان ما اصابك واقبالك
 من أعظم منه . وقصارى الكلام ان بليتك هي التي أنارت قلبك فالفادحات
 والاوصاب بمثابة المعلم والانسان كالطفل المتعلم وبقدر الرزايا تكون المعارف .
 وانها لشرعة قاسية ولكنها حكمة بالغة قديمة كالدينيا ونكدها . نحن في
 حاجة للبكاء لنحي ونشعر كالخصيد يعوزه الندى ليدرك . والسرور رمزه
 نبات مقطوع مغطى بأزهار تميل أعناقها من الندى . الم تشف من جنونك
 ولم تزل في غفوان شبابك سعيداً محبوباً . وهذه المسرات الصغيرة هي التي
 تُرغب الناس في الحياة . واذا كنت لم تذق طعم البكاء ماذا تكون
 حالك . اكنت تهنأ بأصال تمرح فيها بين شجيرات الخلدج مع صديق
 قديم تشربان وتتسامران . اكان يسوغ لك كأسك ان كنت لم تذق طعم
 البشر والفرح . الاتحب الازهار والمروج والرياض وشعر بترارك^(١)
 وتغريد الطيور الصادحة وميكييل انج^(٢) والفنون الجميلة وشكسبير^(٣)
 ومحاسن الطبيعة . ولولا بعض تأوهات قديمة لما كنت تفهم شجوالسموات
 وطربها الذي لا يوصف وسكون الليل وخير الامواج . ولولم تهتورك الحمى

(١) من مشاهير الشعراء الايطاليين (٢) مصور مشهور من ايطاليا (٣) من

فحول شعراء الانكليز

والسهاد ما كنت تفكر في الراحة الابدية ولما كانت لك خلية جميلة تقاسمها
صنوف المسرات والملذات^(١)

الشاعر

لقد قلت حقاً فالحقد ممقوت . وما كان ذاك الا قشعريرة ملؤها
الانزعاج تحدثها هذه الأفعى حينما تزحف في القلوب . فأصيح لي ايها الخيال
وكن شهيداً لهذا اليمين : قسماً بعيني حبيبتى المزريتين بالزمرد . والجو والسماء .
والشمس المشرقة في الافق كدرة متدحرجة . والطبيعة وعظمتها . والخالق
وقدرته . والنور ولألائه . والنجم العزيز عند المسافر . والمروج ونضرتها .
والغابات ورهبتها . والحياة وسلطتها . والعالم وحركته . انني لطاردها من
ذا كرتي وسأعيش مسلوب الحجي من الوجد والشغف . والساعة السعيدة
هي التي انسأها فيها واغفر لها ما قدمت وأخرت . وليعف بمضنا عن بعض
ولنفصم عرى الحب الذي جمعنا امام الخالق بآخر العبرات التي ستكون
وداعا الى الممات

والآف ايها الخيال البهي الطلعة أسمعني بعض الاغاني الشجية
المطربة اغاني الايام الهنيئة السعيدة اذ الرياض تنفج بأريج شذاها وقد
اقرب الصباح فيها ايها الخل الوفي نقطف احاسن ازاهير هذه الجنات .

(١) في هذا الموضع كرر المؤلف الجزء الذي ذكر فيه سيره مع خليلته في ضوء
القمر قرب الغدير فلذلك ضربنا عن ذكره صفحاً لتكراره بلفظه ومعناه

تعال نمتع الناظر بمحاسن الطبيعة الخالدة التي تطرح الآن نقاب النوم ولنعتبر
اننا سنولد الساعة مع اشعة الغزاة

La Cavale Sauvage

الفرس الوحشية

كاد يودي بها الظمأ في مفازة^(١) تسنمر منها الرمضاء^(٢) فهامت على
وجهها ثلاثة ايام تبحث عن الماء، فلم تظفر به في ارجاء هذه البطحاء، ثم املت
ان تجود عليها السماء بوابل يدرأ عنها غائلة الغلة^(٣) في صحراء افترش الغبار
نخلها وركد هواؤها فترى جريد النخل متديلاً لاحراك به وقد حمي
وطيس الشمس وأضحى الفضاء كشنورا كلبه السجر^(٤)
سارت متخبطة في هذه الجرداء^(٥) ترتاد برأتبل منها صداها واني
تجدها وقد جففته ذكاه^(٦) وترى الاسد مضطجعة فوق الصفا^(٧) تحرق
الارم^(٨) من الغيظ

شعرت هذه المهرة البائسة انها رزحت تحت كل كل القضاء وقد غلى
الدم في عروقها وانفجر من منخرها نخائتها قواها ووقعت مغشياً عليها

(١) صحراء (٢) الرمل حينما يسخن من حرارة الشمس (٣) العطش الشديد

(٤) اي ضار كلباً من السجر اي الايقاد (٥) الارض التي لانبات فيها (٦) الشمس

(٧) الصخر (٨) تصرف باسنانها حنقاً

وشرب الرمل دمها بنهم فارتوى وعرفت انه ما ضن عليها بالماء الا وهو
اظماً منها ثم تمددت وانطفأ نور عينها النجلاوين فأسلمت الروح وأدرجت
الصحراء فرسها بل ابتتها في اكفان من رمالها المضطربة

افات فرسنا المنكودة ان ترقب القوافل وهي مارة تحت ظلال
الاشجار الوارفة. فما عليها انفات من شقاها الا ان تتبعها مطأطئة الرأس
لتجد في بغداد الاسطبلات الرطبة المنعشة والمذاود المذهبة والبرسيم
المزهر الغض وآباراً باردة لم ترها السماء

وان كان الباري قد خلقنا من طين واحد فلا بد ان يكون عجبنا في
آية مختلفة الصال وجففنا في شمس تكاد تميز من الغيظ
ومهما يكن المخلوق نسراً أو خطافاً فلا يستطيع ان يحني عاتقه أو
يخفض جناحيه من الذل اذ ليس له من السعادة والهناء اعظم من كلمة
واحدة: وهي الحرية

A Une Fleur

زهرة

ما تبغين أيتها الزهرة العزيزة التي هي احب والطف تذكاري . ومن
طوح بك اليّ وقد بقي فيك مسحة من النضارة والحياة ؟
قطعت طريقاً طويلاً طي قرطاس مختوم فماذا سمعت وبم هممت

اليك اليد التي قطفتك من التماثيل ؟

هل انت الاضفت ^(١) يدب فيه الموت ؟ او متهيبء لان يزهر مرة
اخرى ام أدرجت فيه فكرة ؟ لهفي على زهرتك ايها الضفت التي تماثل
بياضها الوداعة المحزنة . وورقك بلونه يشابه الامل الخائف المتهيب

تكلم ان كنت تحمل الي رسالة فقد لقيت من لا يضيع عنده السر .
ليت شعري اخضرتك سر من الاسرار ورياك ^(٢) لغة من اللغات ؟ فان
كان الامر كما تحذني به النفس فناجني ايها الرسول الخفي وان لم يك
عندك شيء فابق صامتاً ونم على قلبي خفيفاً وطبا

اني لا عرف حق المعرفة هذه اليد التي ملئت فضلاً وولعت بالاهواء
وعقدت كمك الباهت بهذا الخيط الناعم . وان هذه اليد لم يجد (فيدياس
ولا پراكسيثيل ^(٣)) لها اختاً ليتخذها نموذخاً لما يصنعان من بديع
التماثيل الا يد الزهرة ربة الجمال

انها لزهراء حلوة جميلة صادقة ويقال انها ستكون كنزاً لمن أسعده
الحظ فكانت له عروساً . ولكنها حكيمة قاسية اخاف غضبها وشرها .
فصه ^(٤) ايها الزهرة ودعيني اتيه في يدياء الاماني

(١) قضيب صغير من النبات به بعض اوراق أو ازهار (٢) الرائحة الجميلة (٣)

اثنان من مصوري التماثيل من مشاهير قدماء اليونان (٤) اسكتي

Lucie

لوسيا

كنت ذات ليلة جالسا بجانبها فأنجنت على البيانو وتسربت اليه يدها
 البيضاء وهي غارقة في بحار امانها فُخيل اليّ اني اسمع خرير الماء او ان
 النسيم مر على مقصبة^(١) مشفقا ان يوقظ ما حط عليها من الطير
 وكانت ملذات الليالي الشجية تبعث حولنا من اكمام الازهار وعلى
 كذب منا حديقة غناء بها القسطل والبلوط العتيق تميل منها الجذوع
 تحت غصونها الميادة ونحن منصتان لسكون الليل وكانت النافذة مفتوحة
 يمر منها اريج الخريف المنعش فعطر غرفتنا . وكانت الرياح ساكنة
 والسهل قهراً ونحن وحدنا تساورنا الشجون ولم يك لنا من العمر الا خمسة
 عشر ربيعاً

نظرت الى لوسيا فاذا هي بيضاء ذهبية الشعر بعينين لم ار
 اجمل منهما تزريان بصفاء السماء فسرت في دبي نشوة جمالها اذ كنت لا
 اهمم بغيرها وحيي لها كحب الاخ لاخوته . وكان الحياء يخامر كل
 بادرة منها

وبينا نحن سكوت اذ مست يدي يدها فرأيت جبينها الواضح
 وقد ارتسم عليه الحزن . وكنت اشعر ان لنضارة الوجه وشباب الفؤاد
 وهما توأمان ورضيعا لبان تأثيراً عظيماً في شفاء تباريحنا وآلامنا

(١) مكان مزروع فيه قصب اي الغاب

اشرق القمر في سماء نقية راقية وما لبث ان اشتملته مزنة ^(١) بيضاء
كنسيج من اللجين ^(٢) . وكانت ترى في صورتها مرسمة تتلألأ في
عيني . ويخيل الي ان ابتسامها اشبهه بابتسام الملائكة ثم غنت بصوتها
الرخيم العذب :

.....
.....

ايها الموسيقي انك لبنت الألم ! ولغة ابتدعها العقل لترجم عن الحب
انزلها الله من سمائه الى ايطاليا ومنها جاءتنا بآياتها الينيات . وهي الطف
لسان للقب يحمل فكره التي هي اشبه بالمداري الخفزة ^(٣) المتهيبة التي
تخاف من ظلمها وتمشي مختمرة ^(٤) دون ان تحشى العيون

ومن يعلم مبلغ ما يعقله او يقوله غلام مثلي حينما يسمع تأوهاتك
التي تولدت من الهواء الذي يستنشقه . تهيدات لها رنة حزن اشبه بقلبه
لطيفة كصوته ؟

ان فاجأتها وجدتها ساجدة العبرات وهذا غاية ما تعرفه والباقي سر
يجعله الناس كاسرار اللجج وغياب الغابات !

كنا وحدنا تخامرنا الشجون وانا ناظر الى لوسيا وقد خيل اليها ان
صدى انشودتها يكاد يذيب القلوب . ثم اسندت على رأسها المشغل بالهموم

(١) السحابة البيضاء (٢) الفضة (٣) الشديدة الحياء (٤) مدارية رأسها بخمارها

فسألتها هل يشعر قلبك انك في موقف (ديسديمونا^(١)) فلذلك تفالبك
الهموم من كل صوب ؛ انك تبكين ايتها المسكينة وقد تركت شفتي
تلثم ثفرك اللطيف اذ انت هائمة في مفاوز الشجون . فكأنني ما قبلت
الا الحزن وعانقتك فوجدتك مثلوجة الجسم شاحبة اللون . واليوم ولم يمض
الا شهران اراك الآن رهينة الرمس !

ايتها الزهرة النضرة الطاهرة ! ارى موتك قد تمثل ابتساماً يماثل
حياتك عذوبة ورقة . واصبحت وقد حملك الله بمهدك الى رحمته
ياما احبلى سرّاً منك يسكنه الطهر والعفاف من شجي الاناشيد
واماني الحب وابتسامات تحجل وميض البروق وفعال في السذاجة^(٢)
كفعال الاطفال

وانت ايها الحب يامن لم تدرك له العقول كنهها ولا يقدر ان يعتصم
منه احد ويامن أوقف (فوست^(٣)) مترددا على باب (مرجيريت)
فكيف اصبحت يا صفاء الايام الاول الهنيئة ؛ خيم السكون على
روحك ايتها الكاعب ! فوداعا لذكراك وسلاماً على يدك البيضاء التي
كانت تحدث من (البيانو) في ليالي الصيف تلك النغمات التي لا يزال
رنينها مرفرفاً في اركان البيت

(١) امرأة أو تلو (من روايات شكسبير) ويضرب بها المثل الفرنسي للمرأة
العفيفة الطاهرة الذيل البريئة المتهمة من زوجها بالشبهات ظالماً (٢) البساطة (٣)
رواية مشهورة للفيلسوف الألماني (جوت) ومرجيريت حبيبة فوست

أوصيكم ايها الاحباب الاعزاء ان تغرسوا على قبري شجرة
 صفصاف فاني اهوى لونها الباهت كالخزين الاسف واغصانها المرسلة
 كدمع الباكي فنعم ظلها الظليل على ارض سأنام فيها نومي الطويل



André Chénier

اندريه شينييه

واسطة عقد شعراء زمانه ولد سنة ١٧٦٢ بالآستانة من ام يونانية
واب فرنسي كان سفيرا لدولته بالقسطنطينية فعلمته امه في صغره اللغة
اليونانية حتى انه حصل على نصيب وافر منها واطالع في الرابعة عشرة
من عمره دواوين شعراء اليونان وفي السادسة عشرة ابتداء يترجم الشعر
اليوناني الى الشعر الفرنسي فتشبعت قريحته من روح النظم القديم فكان
شعره يماثل المقيّد في الشكل ولكنه جديد الفكر عصري الخيال
أتى به الى فرنسا وهو في حوله الثاني واتم دراسته بمدرسة (ناقار)
وعالج قرض الشعر مبكرا في شرح شبابه وهو في السادسة عشرة من
عمره وبعد ما قضى بضعة شهور في ستراسبورج وهو ضابط برتبة ملازم
ثان اقام طويلاً بباريس ثم اتصل بالسفارة الفرنسية في انكلترا ولبث فيها
ثلاث سنين ثم آب الى فرنسا سنة ١٧٩٠
كان محباً للفكر الجديدة ومن نصرائها شديد المعارضة ببلاغة ملؤها
الحماسة نحو الهيئة الثورية المسماة (لاتيرور La Terreur) وقد قبضت
هذه الفئة الطاغية على زمام الملك في ٣١ مايو سنة ١٧٩٣ وكان رائدها
الظلم العسف فاهلكت الحرث والنسل وضربت اعناق آلاف مؤلفة

من نصراء الحرية الذين انبروا للدفاع عنها في ظرف الثلاثة عشر شهرا التي مكثها هذه الطغمة العاتية وانقضت بقتل رئيسها (روبسبيير Robespierre)

في ٨ يولييه سنة ١٧٩٤

طلق يحارب هؤلاء الجبابرة بنفثات اقلامه في الجرائد تارة وفي الخطابة طورا مدافعا عن الحرية معددا مساوئهم وعسفهم الى ان قبضوا عليه في مارس سنة ١٧٩٤ وسجن في (سان لازار) ثم ضربت عنقه هو و (روشيه Roucher) الشاعر في آن واحد وذهبا كمن سبقهما من الالوف المؤلفة شهيدين للحرية والوطنية في ٢٥ يونيه سنة ١٧٩٤

وكان موته خسرانا عظيما لفرنسا اذ فقدت به البلاغة والشعر نابغة في عنفوان شبابه ولم يكد يبلغ الثانية والثلاثين ولو عاش لأتى بمعجزات البلاغة ومدھشات القريض وجر ذيل النسيان على اغلب شعراء قومه من السلف والخلف

ولم يطبع ديوانه الا في سنة ١٨١٩ وهو يشمل الغزل والرثاء والهجاء والانشيد الوطنية والرسائل وعدة مقاطيع شعرية من الاهمية بمكان لاسيما (هرمس Hermès) وهي ملحمة فلسفية شائقة

وكان شينييه اعظم شعراء القرن الثامن عشر وفلسفته تشابه فلسفة (بوفون Buffon^(١)) او (كابانيس Cabanis^(٢)) وكان جاحدا لا يتدين بدين.

(١) من اعظم كتاب فرنسا وطار صيته في علم التاريخ الطبيعى سنة ١٧٠٧ - ١٧٨٨

(٢) من مشاهير الاطباء والفلاسفة الفرنسيين سنة ١٧٥٧ - ١٨٠٨

وقد مهر في الشعر وأتى فيه بآيات بينات ولم يتفرد بمذهب الشعر المقيد الذي كان يقلده تقليداً تزينه الرقة والانسجام وكان له ذوق سليم في (الميتولوجيا^(١)) والتعبير عن الكلمات بالجميل لتسع ما يشه فيها من نقشات البلاغة ولم يستعمل في كتابته غير الالفاظ الفخمة الفصيحة

وقد اعاد هذا الشاعر المجدد للقريض الفرنسي شبابه بعد ما كاد يودي به الضعف وملاءمة حمية وحماسة . فجدد الشعر الخلووي بمواطن صادقة تمثل الطبيعة تمثيلاً حقيقياً واحيى الرثاء بما تمليه اليه نفس اضنتها الآلام . واصلح الهجاء بنفحات روحه المتوقدة . وهو اول من انشأ الشعر المطلق واخر شعراء المذهب المقيد واعظمهم

La Jeune Captive

الفتاة الاسيرة (٣)

« يحترم المنجل السنبلة قبل نضجها غاضاً امامها الطرف ويرشف
جديد الغصون من السكروم ما يهديه اليه الفجر في أيام الصيف من

(١) لما كان المؤلف مسجوناً سمع بجواره فتاة تنذب حالها وتشكو زمانها وترثي شبابها الفاض خائفة من الموت وهي (مدام دو كواني) سنة ١٧٦٩ - ١٨٢٠ وكانت آية في الجمال والفضل في شهرتها راجع الى هذا الشاعر لكونه نظم لاجلها هذه القصيدة

« الندى البليل غير خائف من ألم العصر . واني لجميلة فتية مثلاً اكره الموت ولو اني الآن هدف لقلق البال والسأم »

« ليطر الى الموت الزؤام من عصي دمعته من الصبر والجلد وعدم المبالاة . ولكنني انوح والامل مل فؤادي . وحينما تهب الشمال اخفض رأسي حرصاً ثم ارفعها اذا مرت . وان كان لبعض الايام مرارة فلغيرها حلاوة تنسى نكدتها وتبرئ اوصالها ؟ وهل رأيت شهداً شيئاً لاتعافه النفس ان واضطت عليه وبحر اخلوا من الانواء والا عاصير ؟ »

« تبيض وتفرخ بقلبي الاماني والآمال في سجن تكاد جدرانها تبيخ عليّ لثلاث افلت منها ولكن ساء زعمها فاني راكبة جناحي الامل كالعندليب تسرب من قفص بائع الطيور القاسي طائراً منتعشاً متهالاً في فسيح الخلاء ومزهر الرياض وقد اكتنفه الهناء من كل صوب . »

« ايموت مثلي ؟ من تنام والدعة غطاؤها وتسهر والسكون انيسها ولم يحالها توبيخ الضمير في اليقظة ولا في النوم »

« وكان حسن لقائي نهاراً بادياً في العيون وكأنه يبسم لي ظاهراً على الجباه التي اكفهرت من البؤس والعناء وقد أنعش مرآي الجميع في هذه الاماكن وهللهم بشراً وسرورا »

« انني في مبدأ رحلتي الشائقة مسافرة تحت ظلال الاشجار الجميلة التي تحف طريقي من الجانبين ولم اكدمر على اولها وقد مدت امامي »

« مائدة الحياة وما اوشكت ان افتحها ممسكة كأسا ماقتت منعمة اذ لم
 « تكذب تنضم عليها شفتاي . ولست الا في الربيع واشتهي ان ادرك
 « الحصاد او كالشمس تنتقل من فصل لآخر لثتم سننها

« اني لزهرة متلائلة فوق غصني مزرية بما حولي من الازهار في
 « بستان دولة الجمال ولم تتمتع بأشعة الغزالة الا عند شروقها وأبني ان
 « أحظى بها لغاية غروبها

« ايها الموت! انك لتستطيع ان تنظرني^(١) فاغرب عني واذهب
 « لتريح القلوب التي يفترسها الحزني والرعب ويميتها اليأس . فان (باليس)^(٢)
 « يعد لي النضر من ملاجئه الخضر و (أمور)^(٣) المنعش من قبله الحلوة
 « و (موز)^(٤) الشجي من حفلاتها الموسيقية ولست أبني الموت قبل التمتع
 « بهذه الاحتفاآت الهنيئة

*
* *

كنت مشاطرا لها في الحزن والاسى فاستيقظت مني غيلة الشعر
 وأصغيت لهذا الصوت الشاكي وهذا الاعتراف الذي تبوح به هذه
 الكعاب الاسيرة ثم هزرت اقبال الحياة المضنية ونظمت ماتناثر من فيها
 اللطيف المحبوب من غرر الدرر في سلك عقود القريض فأصبحت أناشيد

(١) تؤخرفي (٢) اله الماشية والرعاة في (الميتولوجيا) الرومانية (٣) اله الحب

(٤) الهة الموسيقى

تشجى المشاق وسلوانا ولها لهم يقلون بها اوقات فراغهم
ولقد تساءل من معها من المسجونين من تكون هذه الحسناء التي
زانت الرشاقة جبينها وحديثها؟ وانا لمشفقون ان تنقضي ايامنا وحبذا لو
طال علينا الابد فما نحن بجانبها الا في السعادة والهناء لافي السجن والهناء



Le Comte Alfred de Vigny

الكونت الفريد دوفيني

ممن يشار اليهم بأطراف البنان من خول الشعراء الفرنسيين ولد
بلوش سنة ١٧٩٧ وتوفي بباريس سنة ١٨٦٣

كان سنة ١٨١٤ ملازماً ثانياً في فرسان الشرطة (الجندرمه) ثم
عين سنة ١٨١٥ في حرس المشاة الملوحي وربي سنة ١٨٢٣ الى رتبة يوزباشي
وأرسل الى الحدود مدة حرب اسبانيا ثم استعفى من الخدمة سنة ١٨٢٨
وقد تزوج قبل هذا العهد بسنتين بفتاة انكليزية تسمى ليديا بونوري
عاد الى باريس وكان من المطبوعين على الشعر المطلق وابتدأ في نظم
الشعر من سنة ١٨١٥ أي في الثامنة عشرة . وظهر أول مؤلفاته سنة ١٨٢٢
بمعنوان (منظومات) وفي سنة ١٨٢٦ طبعه طبعة جديدة وسماه
(المنظومات القديمة والحديثة) واطاف اليه بعض قطع من ضمنها (موسى)
و (ايلوا) و (الطوفان) و (البوق) وفي سنة ١٨٣٧ اتبعها بأخرى وهي
(الجليلد) و (مدام دوسوبيز) و (الطراة) و (باريس) و (عشاق
مونورانس)

وقد كتب نثرا (ه مارس) سنة ١٨٢٦ وهو رواية تاريخية شائقة
كانت آية في البلاغة أجاد فيها واعطى الحوادث حقها من الاستيفاء زينها

وصف جميل بطريقة لم يجاره فيها مجار . وقصص في مجلدين سماهما (ستيلو) سنة ١٨٣٢ و (الاستعباد والعظمة في الهندية) سنة ١٨٣٥ وعدة روايات منها واحدة نظمية وهي (مغربي فينيزيا) سنة ١٨٢٩ و (لاماريشال دانكر) سنة ١٨٣١ و (شاترتون) سنة ١٨٣٥ وقد حازت اقبالا باهرا . ولما مثلت مدام (دورفال) الممثلة الشهيرة دور (كيتي) في هذه الرواية كانت لها اليد الطولى في زيادة شهرتها اذ اجتمعت مهارة التمثيل ورقة الالتقاء ببلاغة الانشاء وما حواه من العواطف المؤثرة

وقد انتخب في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٤٥ وقضى ايامه الاخيرة في العزلة كشيئا كاسف البال ومات بعد ما عانى الآلام النفسانية والمتاعب الدنيوية حولا كاملا وقاسى من نكد الايام ما تروح لثقله الاطواد بصبر يحسده الصبر

وظهر بعد موته جزء ثان من الشعر باسم (الاقدار) ونشر في مجلة العالمين سنة ١٨٦٤ و (يومية شاعر) وهي حاوية لشروح في التراجم وتأملات طبعها (لوي راتيسبون) سنة ١٨٦٧

تفرد هذا الشاعر النابغة دون غيره من شعراء المذهب المطلق بأنه شاعر نفسه . فترى جميع ما كتبه نظما كان او ثرا لا يدور الا على شكواه من الزمن ووصف ما يقاسيه من الهموم والآلام وتقلبات الدنيا . فترى جميع اقواله مترجمة عن وجدانه وشعوره بحرعى عام لاعتن خيال . وجميع رواياته نموذجات لسحر البيان ورقيق العواطف وشدة التأثير

وكانت الافكار الرئيسية لهذا الفيلسوف الحكيم تحوم حول الوحدة التي تقهر النوابع . وخلق بال الخلق وجودهم . وغدر المرأة وخيانتها . وعدم احساس الطبيعة وتأثرها . والجلد والصبر على هذه المصائب والأحن . والخضوع لارادة الخالق ومشيتته

وكان من المجددين حزيناً كثيباً . ولم يبلغ حد الكمال في روائع الابتداع ومدحشات الألهام . ولا تزيد قصائده عن الاربعة-ين واغلبها غامض معقد المعاني . ولكن اثنتي عشرة منها سارت بذكرها الركبان وعدت من روائع البلاغة وسحر البيان مثل (موسى) و (قارورة في البحر) و (مصرع الذئب) و (بيت الراعي) و (جبل الزيتون) و (غضب شمسون) وغيرها مما سبق ذكره من قصائده وان كان هذا الشاعر اقل شهرة من فيكتور هوغو ولامارتين والفريد دوموسيه ولكنه محدود من صفهم

La Maison du Berger

بيت الراعي

ان كان قلبك يئن من وطأة أثقال الحياة مضطرباً من ألمه كنسر
جريح يحاول ان يطير مرفرفاً بجناحيه فيقعده ضعفه وتخونه قواه . يحمل
كفالي على جناحه المستعبد عيشاً مليئاً نكداً فتارة يذبح عليه بكل كاله

حتى يكاد يسوي به الارض وآونة يثالج^(١) صدره فيوشك ان يطير فرحاً .
او كان لا يدق دون ان يسيل جرحه او لم يشعر بالهوى وهو نجمة الذي
ينير امامه الاقنق فيمتدي به

أو كانت نفسك كنفسك انهبكها ماتحملة من متاعب الدهر ومرارة
الحياة وهوى الى الماء مجذاف سفينتك التي لبست ثوب الحداد فهامت
على وجهها في الماء والامواج تلعب بها كما تشاء . فهناك اطرق برأسك
ونوحى على نفسك والتمسي في اللجج طريقاً لم يطرق وانظري وأنت
مرتعدة الفرائص الى كتفك العارية لثقرني ماخطه الدهر عليها من اسطر
القضاء المبرم بأحرف من حديد مصهر^(٢)

او كان جسمك يقشعر من هول آلامه الخفية فيكاد ينشق منه
الفؤاد كمدا وقد غاب عليه الحياء مما احاط به من الانظار فترينه يبحث عن
مكون الخدور ليوارى فيها جماله وليأمن مما يهينه من الاعين التي أفعمتها القحة
اوجفت شفتاك من سم المين^(٣) واحمر جبينك حينما يسبح في يم
احلام دنسة لا يحوم عليها طائر الخيال وهي ناظرة مصغية اليك . فارحلي
رابطة الجلأش قوية العزم واطرحي المدن ظهيراتني من بناها ولا تدعي
غبار الطرق يفرش قدميك وانظري بعين المفكر الى الامصار المستعبدة
والجبال التي اتعسها الانسان باسترقاقه ويمعي^(٤) الغاب العظيم والحقول

(١) بشرح صدره (٢) حينما يبيض بعد الاحمرار من شدة الاحتراق (٣) المكذب

(٤) اقصدي

الفسحة فانها نعم المأجأ الحر كجزر معتمة يحفها الماء . وسيري بين المروج
ويديك زهرة جميلة فان الطبيعة تنتظر بك بسكونت رهيب . والعشب يرفع
على قدميك مائكاثف من ظله . وانين وداع الشمس للارض يؤرجح
جميل الزنبق^(١) كمباخر من الجسين . وقد حجبت الدحال^(٢) جنود
أشجارها التي امتدت على بعد سحيق . واخفي الطود عن الابصار
واسترست افنان الصفصاف ونام عسجد الشفق المحبوب في الوادي على
بسط العشب الزمردي تحت ظلال مائت من الخيزران حول العين
المنعزلة . ثم يتايل الشفق في الاحراش^(٣) الميادية في الافق راكبا متن
الفرار باسطاً عباءته السوداء على الشواطىء وقد فتح الظلام سجنه الازهار
وكانت على شاهقنا خمائل مانفة من الخليج لايسطيع الصائد ان
يخترقها فترينها وهي اعلى من جباهنا رافعة رأسا تتيه كبرياء واعجاباً وتؤوي
في الليل الراعي والغريب . فتعالي لتستري فيها هواك وزلتك . وان كان
السكلاً مضطرباً فيظهر لك او قصيراً فلا يجملك^(٤) فاني اجر اليك بيت الراعي
فيسير اليك الهويناء على عجلاته الاربع^(٥) . وسقته ليس بعال عن جبينك
وعينيك . وان لون المرجان وخديك هما الاذان صبغاً^(٦) هذه العربة الليلية

(١) نوع من النباتات البصلية له ازهار جميلة بيضاء عطرة خذاً (٢) الغابات (٣) الغابات
أيضاً (٤) يسترك (٥) من عادة الرعاة الافرنج ان يصنعوا لهم اكواخا من الخشب ياوون
اليها على شكل العربات (الاو منيوس) لتكون متحركة ويذهبون بها حيث يشاءون
ويجرها جواد عند انتقاله (٦) يقول ان هذه المرأة حيث كان بمنقها عقد من المرجان
كان لونه ينعكس هو ولون خديها على العربة فصارت حمراء اللون

ومجاور عجالاتها الصامته ومدخله معطر ومخدعه فسيح مظلم وهناك في هذا
الليل البهيم نجد لنا بين الازاهير سريراً يحفه السكون ويضم رأسينا اللتين
اختلط منهما الشعر

وسنرى ان كنت ترغيبين في بلاد الجليد التي حينما يظهر فيها
الكوكب المحبوب يفتس بأشعنه ما يجده امامه من الثلوج فيز هو ويشرق .
ومواطن تنهبها الرياح ويحاصرهما الجليد بأسوار منيعة وبها القطب اللعين
وثلوجه الممقوتة . وسنقتني سير المصادفات الطائش . ولا يهمني ضوء النهار
ولا الدنيا الا اذا راقا في عيني

من أنت يا حواء ؟ اتعرفين كنهك ؟ اتعلمين غايتك وواجبك في
الدنيا ؟ اتدري ان الخالق ليعاقب الانسان مخلوقه لعصيانه واكله من
الشجرة التي نهاه عنها اقتضت ارادته ان يساط عليه حباً لذاته لا يسبقه
حب آخر في كل الازمان واطوار الاعمار . واذا كان اقصى هنائه شغفه
بنفسه تريه معذباً منغصاً منه .

أتعلمين يا أم الخلائق لم سمحت مشيئة القادر بان جعلك للرجل
قرينة لطيفة ؟ ذلك لينظر صورته مرسمة في مرآة روح أخرى ويسمع
منك هذا الصوت الجميل المزري بتغريد العنادل والذي لا يصدر الا منك .
وليشنف سمعه بصوت رخيم عذب ملؤه الحماس . ولتكوني قاضيه ورقيقه
فتتولين حياته وتميشين خاضعة لشريعته

كلامك اللطيف السار به بعض كلمات استبدادية وعيناك لهما نفوذ

عظيم ومنظرك ذو رواء^(١) نغم كما قال ملوك الشرق في أغانيهم . وكل
يجتهد ان يجيد عن سهام حكمك العاجلة . ولكن قلبك يكذب هيئتك
الجريئة . ويخضع بلا جدال لشقاء الحظ ونكد العيش

فكرتك لها طفرات^(٢) كالغزلان ولكنها لا تستطيع السير بغير دليل
ولا سند اذ يميت رجلها الثرى وتعب جناحيها الرياح . تغمض منها العين
نهاراً بمجرد ان يسفر الصبح وتارة تصل الى حائق بوثبة واحدة فتزعجها
الرياح . وفكرتك المتحركة لا تيسر لها ان تسهر وحدها دون خوف وملل
لم يشب صفاتك التبصر الذي يمليه الجبن^(٣) لان قلبك يهتز ويرن
اسماع صوت المضطر المكروب كا (لأرج)^(٤) في الكنيسة ساد عليها
السكوت والرهبنة فترينه يردد صدى الانين فيئن كأنه يتوجع لصاحبه
كلامك كالنيران يهيج الجموع . ودملك يطهر الالهانة ونكران
الجميل . وانك لتدفعين الرجل من ذراعه فيهم وافقاً مسلحاً . وانك لخير
من يهرع اليه لبث الشكاوي الكبيرة التي تذبعت من الانسانية الحزينة
بصوت مخنق

(١) المنظر البهي (٢) قفزات (٣) يريدان التبصروقت اغانة الماهوف من الحين
لانه خائف من ان يبطش به الذي يبطش بهذا المكروب فيتبصر ليحمي نفسه ولربما فات
الوقت وهلك المستغيث (٤) آلة موسيقية كالبيانو في الشكل لكنها تختلف عنه بانها
ليست لها اوتار بل يحدث الصوت من الهواء الذي ينفخ في مزاميره بان يحرك الانسان
رجليه على منفاخ وقت التوقيع وهي لا تستعمل الا في الكنائس

وحينما يكاد القلب يتميز من الغيظ الطاهر ترين هواء المدن يخنقه عند
كل ضربة من ضرباته . ولكن انين عذابها الاجتماعي يشاهد مجتمعاً فوق
دخانها مكوناً كلمة يسممها من شط^(١) اودنا بصوت جلي
تعالى فما السماء الا كأنها هالة من نور تحيطك بزرقها اذ تضئك
وتحميك . وما الجبل الا معبدك والغاب قبابه . وما الطير يميله الهواء على
النصون الميادة والازهار وعرفها والمصافير وانينها الا لتتمش الهواء الذي
تستنشقه وتحنفه بالبشر والابتهاج . وما الارض الا بساط جميل مدّت تحت
اقدام بنيك اللطيفة

احب يا حواء كل شيء في المخلوقات اذ اشاهدها منعكسة في نظرك
التائه في مهامه الاماني والذي يث انى تنقل لهبه المزدان بجميع الألوان .
وان استراح بعد تقلبه زاد بهاؤه وانبعث سحره ففاق هاروت وماروت
هيا ضعي يدك النقية المزرية بدئي^(٢) العاج فوق قلبي المتمزق ولا
تذريني وحدي مع الطبيعة التي اعرفها حق المعرفة لئلا يتطرق اليّ الوجع
منها فقد قالت لي بلسان فصيح :

« اني لدار تمثيل لا تعرف للتأثر معنى ولا تضطرب تحت اقدام
ممثلها . درجات سلحي من الزمرد وفناؤها من المرمر الابيض ونحتت
« الالهة اعمدها فلا اسمع صراخكم ولا انينكم واكاد احس بمرور تمثيل

(١) ابتعد (٢) جمع دمية وهي الصور الادمية الصغيرة المصنوعة من العاج

يضرّب بها المثل عند العرب لاجمال فيقال احسن من دمية

« رواية المجتمع الانساني وانشد في السماء المتفرجين البكم بلا طائل
 « اجوب البلاد كالأعمى الاصم واجول بين الأمم التي يخطئها الحصر
 « مزدرية بهم لا أميز بين دورهم وقبورهم . وشتائي يحصد النفوس له قرباناً
 « كما لا يشعر ربيعي بشغفكم به

« كنت قبلك ايها الانسان جميلة معطرة تاركة شعري يلعب به
 « الهواء كما يهوى متبعة في السموات طريقي الذي اعتدته فوق محورها
 « المنتظم فتميلني المشيئة حيث شاءت يمنة ويسرة ككفتي الميزان ثم بعدك
 « كنت اخترق الفضاء الذي يندفع كل فيه سائرة وحدي بوجه باش
 « وصمت يزنيه العفاف شافة الهواء يجيئني الوضاح ونهدي الذين
 « ارتفعوا شماً وكبرياء »

هذا ما سرده علي الطبيعة بصوت جهوري لبسته رنة الحزن واني
 لأمقتها وحائق عليها لكوني ارى دمنياخالط امواج بحارها وموتانا تحت
 عشبها فترين اجسامنا بعد تحول مادتها تمتص جذور الاشجار عناصرها
 السمادية بشره ونهم فننمو وتعلم وتزهو . فكنت اقول لنفسي الذي راقها
 هذا البهاء الممقوت . « خير لك ان تحولي نظرك عنه ولا تذرفي دمعاً
 « واحدة اسفا عليه بل احبي مالا يشاهد الا مرة واحدة »

من يسمعه الحظ ويشاهد لطفك وحنانك ايها الملاك الجميل الشاكي
 بصوت خافت كأنما هو محتضر ؟ ^(١) من ولد مثلك وولدت معه الملاحظة

(١) في حالة النزع عند الموت

كأنهما توأمان اذ نراها تلمع مع البرق الذي يتلأأ في نظرك الفاتر
وتمايل رأسك اللطيف وقامتك الرشيقه التي لا تكاد تماسك من لينها
وتبسّمك الذي انمشه الهوى ونغصه باوصابه

*

عيشي واتعشي ايتها الطبيعة الباردة وتحكمي فينا كيف شئت فهذه
سنتك وازدري بالانسان ان كنت في مصاف الالهة فما هو الا عابرحقير
جعله الله سلطاناً عليك

احب عظمة الآلام الانسانية اكثر من ملكك ونخامته التي لا
تجدي نفعاً وانك لن تؤلمي مني حبا

الا تبغين ايتها السائحة المكسّال ان تسندي بجبينك الى صكتي
لنظير في جو الاماني ؟ فتمالي من هذا البيت المتحرك الذي كسي ببردين
من دعة وسكون لتشاهدي مامر وما سيأتي من صور العالم ومناظره التي
احضرتها في ذاكرتي روح طاهرة من الله وستحي هذه الصور وتلبسها
الارواح لاجلك امام هذا الباب وترين البلاد العظيمة ممتدة امامك
وهي صامته

وستتبع السلف غير مخلّفين سوى ظلنا على هذه الارض الناكرة
للجميل والتي جابها من مات قبلنا وستحدث عنهم في الساعة التي يظلم
فيها كل شيء اذ يسرك سلوك منهج عفت رسومه واندرست معاملته
فتسيرين وانت غارقة في بحار الاماني مستندة على غصون لا تعلم حقيقتها

باكية كارطيميس^(١) على حافة عيونها حباً صامتاً ما فتى عرضة للحدثان

la Mort du Loup

مصرع الذئب

كان المزن يمر فوق القمر الملتهب كحريق يتصاعد منه الدخان وقد
حلك الظلام في الغاب وغاب الافق عن العيون ونحن سائرون سكوتاً على
المشب المبلل تحفنا خمايل كثيفة من الخننج وشجر الثنوب الذي يكاد
يناطح السماء فلمحننا آثار اظفار كبيرة خطتها ارجل الذئاب السيارة التي
اخذنا عليها المسالك

اصغينا حتى كدنا نقطع التنفس ولم تهمس منا الاقدام ولا السهل او
الغاب بادنى صوت غير مزولة الهواء^(٢) التي كانت تبث بصريها في
الجو وكان النسيم يمر على اعالي الابراج واشجار البلوط التي اضطجعت
على ما يحيط بها من الصخور. وبيننا نحن في هذا السكون والصائدون
بالمرصاد اذ لمح شيخ منهم اثراً جديداً لمخالب عظيمة لذئبين وجروين فانبأنا
همساجهننا الخناجر وحشونا البنادق وسرنا الهويينا فارقين ما يعترضنا من
العصون المشتبكة فوقف ثلاثة منا ولبثت مكاني لارى ما استلقت انظارهم

(١) الهة الصيد والغابات في خرافات اليونان (٢) آلة تبين الجهة التي تهب

منها الريح وعبرنا عنها بهذا اللفظ لانها ما كانت معروفة عند العرب

فلمحت عينين برّاقتين ومن أُمّ اربعة اشباح ترقص في سنا القمر بين خمائل
الخلنج كديدها اليومي ولما اقبل الرئيس كانت الكلاب متهلة تشبه صغار
الذئب في فرحها ورقصها ولكن الاخيرة كانت تمرح دون لفظ وقد
خيم عليها السكون حذرة لا تنام الا غمرا اذ على كئيب منها الانسان
عدوها اللدود

وكيف تنام الطير في وكناتها * وقد نصبت للفرقدين الحباثل
وكان الذئب الكبير واقفاً وعلى بعمد منه انشاء مضطجعة على جذع
شجرة كانها تمثال المرمر الذي كان يعبد الرومان ممثلاً ذئبة حاضنة
(ريموس ورومولوس^(١)) اللذين وضعهما الرومان في مصاف الآلهة الصغيرة
ثم اقبل الذئب وقعد باسطاً ذراعيه منسجماً اظافره في الرمل ولما
استيأس وخاب رجاؤه في النجاة اذ سدت عليه طرائقه امسك اقوى
الكلاب من رقبته بفكين قويين كانهما قُدا من حديد وجالد قرنه جلاد
المستमित ولم يتركه رغماً عما اخترم جسمه من رصاصنا المتدفق من بنادقنا
كالطر وخناجرنا المعمدة في احشائه ولم يزل ممسكاً خصمه غير مبال بما
اصابه حتى دق عنقه وتركه جثة بلا روح وكانت الخناجر الفائرة في جسمه
اشبه بمسامير سمّته على السكّاء وقد ارتوى العشب من دمه وتحيط
به بنادقنا كرزايا قامت على سوقها وما فتئ ناظراً إلينا وهو يلعق ما سال

(١) اللذان اسسا مدينة رومة

من دمه حول فيه وبدون ان يتأمل كيف هلك اطبق عينيه ومات ولم
ينبعث منه صراخ ولا انين

اطرقت الى الارض مسندا برأسي الى بندقتي مفكراً بغير وصول
لغاية اذ حدثني النفس ان اقتني الذئبة وجروها التي كانت في انتظاره على
ما اظن ولولا ولداها لما تركت ارملةنا الجميلة الحزينة الفها يحتمي وحده
صاب المصاب ولكن واجبها حتم عليها ان تحرس صغارها وتكلاًها بعين
عنايتها ولتدربها على النفور من عهود المدن التي ارتبط بها الانسان مع
الانعام التي استخدمها مها اودى بها السغب فتراها تطارد امامه اول من
امتلك الغاب والجبال لتحصل على ركن تأوي اليه

اسفي حينما افكر في الانسان ولو طاولت عظمته السماء فاني اخجل
من ذكره لضعفه وخور عزيمته. وانك وحدك ايها المعجاوات^(١) الفخمة
العظيمة التي تعرف كيف تفارق الدنيا وبؤسها وآلامها وان تأمل الانسان
وجد ان افضل اعماله السكوت وما سواه ضعف وخور

لقد عرفت حقيقةك ايها السائح اذ اخترقت نظرتك الاخيرة اعماق
قلبي كأنها تقول لي بلسان فصيح: « ان استطعت ان تبلغ نفسك مبلغ
روحي فتأبر على الاجتهاد والتأمل لتصل الى هذه الدرجة القصوى من
الجلد والصبر والاعجاب بالنفس فاني ولدت في هذه الدحال ونشأت بها

(١) المعجاوات والانعام البهائم الآنسة

وقد علمتني صروف الدهر ان الصراخ والعويل والتوسل لحي صفات الجبن
والعجز والواجب يقضي عليك ان تقوم باعباء ماعهد اليك وكلفت به
وناداك اليه حظك بعزيمة تسبق العضب في المضاء مهما بلغ الامر منتهاه
من الشدة والمضض وبعد اللتيا والتي كن مثلي كاظما آلامك ثم مت
صامتادون ان تنبس بنبت شفة



François Coppée

فرنسوا كوبيه

نابغة من شعراء وروائيي العصر الفرنسيين ممن يفتخر بهم الشعر المطلق ولد بباريس سنة ١٨٤٢

ظهرت اول مجموعة من نظمه بعنوان (صندوق البقايا المقدسة) سنة ١٨٦٦ وكان في أول ظهوره في عالم الشعر عاطلا من مميزاته ونفحاته. فلما صدرت روايته النظمية (جواب الآفاق) سنة ١٨٦٩ رفعت قدره واستلقت اليه الانظار من كل فج عميق حتى عد من فحول الشعراء. وهي من معجزات نظمه ودره يتيمة في بابها لم يأت أحد بمثالها غير ماحوته من رفيق العواطف ودقيق الاشارات

وكتب عددا عظيما من الروايات التمثيلية والمجموعات الشعرية. ومن اشهر رواياته التمثيلية (عواد كريمون) سنة ١٨٧٦ وهي شائقة مؤثرة و (سيفير وتوريللى) سنة ١٨٨٣ و (اليقوبيون) سنة ١٨٨٥ و (لاجل التاج) سنة ١٨٩٥ وهي رواية تاريخية نظميه من أبدع ما كتبه الشاعر سحرت العقول ببلاغتها ومثانة قريضها وما شملته من النفحات العلوية والفيوض الربانية

ومن نخب شعره: (المودات) سنة ١٨٦٨ و (المساكين) سنة ١٨٧٢

و (بين المنازل والنزه) سنة ١٨٧٥ و (الدفتر الاحمر) سنة ١٨٧٤
و (المقاطيع الشعرية والمرائي) سنة ١٨٧٨ وعدد وافر من القصائد نشرت
على حدة لاسيا (اوليفيه)

وما كتبه نثرا مثل (القصص) وهي في خمسة اجزاء واشتهرت
برقة العواطف وجملة روايات ثرية وعدد من مجموعات الحوادث التاريخية
منها (الألم العظيم) سنة ١٨٩٨ وهي تنبئ بمحصول بعض من الانتقال
الديني للمؤلف. وقد انتخب في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٨٤ ثم اشغل
بالسياسة وعين رئيس شرف لحزب (الوطن الفرنسي) سنة ١٨٩٩ ثم
استقال عقب انتخابات سنة ١٩٠٢ ومن هذا الوقت امسك اللسان وطرح
القلم ولم يكتب الا ماندر

وظهر في هذا العهد الاخير له ثلاثة اجزاء الاول منها (في الصلاة
والحرب) وهو نظم سنة ١٩٠١ والثاني (قصص لاياح الاعياد) سنة ١٩٠٢
والثالث (اشعار فرنسية) سنة ١٩٠٦ وجملة مواضع وقصائد ظهرت في
الجرائد والمجلات وكان لها استحسان باهر

وقد تبرع للمجمع العلمي الفرنسي بجائزة للشعر قدرها الف فرنك
تمنح كل سنتين

مهرو بهر شاعرنا هذا في اغلب انواع الشعر لاسيا المرائي والملاحم.
وكان من الشعراء المحققين وحاز القدح الممل في الشعر القصصي المألوف
وانواع الشعر المبتكرة في بابها. وقد اجاد في وصف المناظر الطبيعية كقوله

في وصف ضواحي باريس : « أرض فضاء جرداء . وأشجار هيفاء .
وطرق سوداء . اقترشها مايلقظه ^(١) دوحها ^(٢) من الحاء ^(٣) . ولكن
لها نصيب وافر من الشجو والطرب يأخذ بمجامع القلوب
وكان مقتدرا في وصف اخلاق القرويين وعاداتهم وصفا صادقا
رقيقا شجيا يهن القلوب طربا حينما يصف البؤس المتواصل والفقر المدقع
والفضائل المجهولة فلذلك وسموه (بشاعر المساكين) لانه في هذه الطبقة
الصغيرة الحقة اسمعه القريض وحده بنفحات مدهشات قلده زعامة ^(٤)
هذا النوع الذي ابتكره

وقد وفق في التمثيل بين المذهب المطلق والمذهب المقيد فأعطى
للاخير المويص الفهم رقة تعبير الاول وسلاسة تركيبه
وهو في الادبيات يشبه شعراء المذهب المقيد لاسيا (كورني
Corneille) وقد رزق منها قسطا وافرا ومكانا رفيعا اذ تمد رواياته التمثيلية
من اعظم الروايات الاخلاقية

وكان من امهر النثرين وكتب في الجرائد في قسمي الاخبار
والملاحقات الروائية نثرا سلس العبارة رقيق التعبير ملؤه المواطنف
والوجدان الحي . كما انه اجاد أيضا في المواضيع الفكاهية
وقد توفي بباريس في ٢٣ مايو سنة ١٩٠٨ واحتفلوا بجنائزه احتفالا
شائقا فخما يليق بمقامه الرفيع وبكاه القريض الفرنسي قبل الشعراء

(١) تطرحه (٢) الدوح الشجر (٣) قشر الشجر (٤) رئاسة

Le Passant

جواب الآفاق

رواية تمثيلية ذات فصل واحد

(يحتوي المرسح على روض بهج خلوى بضيقه القمر وعلى يمينه بيت جميل توفرت فيه أسباب السرور بصنوفه قائم على سفح الكمة وبجانب الحائط مقعد خشبي قديم . وتظهر من بعد داخل المرسح معالم مدينة فلورنسا ولا يكاد يحققها الرأي والسماء صافية تتلألأ في كبدها نجومها)

سيلفيا (وحدها)

(ترى سيلفيا لابسة ثوباً أبيض عارية الكنفين والذراعين متكئة على حاجز الممشى مسرحية نظرها في روضها الجميل)

لعن الله الحب فقد صير العين جامدة والدمع عصياً
(ثم تنزل ببطء الى حضيض الكمة)

لقد قضيت صباي في سلب العقول واختطاف النهى وانا الاميرة الخبيثة ويقبل يدي الجميع كالكسكة وهم صاغرون . وكان قلبي لا يشعر ولا يحفل بقبلهم الحارة . فن يحال اني بعد ما بلغت هذا الشأ والبعيد اسأم وامل السماء باقية على صفائها الجميل مضى عليها شهران ولم تمطر والصيف وسكونه ولياليه المحبوبة . ولا ريب ان الشعراء والمغنين يسمعون الحظ

وينفجهم بتشبيهات سمجة . وأرى اسمي تتقاسمه القوافي مع أسماء الازهار
فلا تكاد تقع عيني على قصيدة الا وأبصر اسمي فيها حتى امتلكت القلوب
وصرت اغبط على هذه المنحة الجليلة

وهؤلاء المتملقون الصاغرون لا انظر اليهم الا بعين ملؤها الازدراء
والاحتقار . وهذا (التوسكاني) بطل الوقائع والحوادث المنقلب في النعم
الجزيلة يطرح تحت قدمي الحلي من ذهب وجوهر . وذلك القاضي يتيه
كبرياء وعجباً . والآ خر وزير مال (جنوة) يتنافسان في عرض نفيس
الماس وغرر الدرر امام ناظري لينظرا لمن يكون الغلب والظفر فيستلقت
عيني نحو هديته الغالية . ولكن هيهات لما يؤملون فاني أبغضهم واحقرهم
وكل هؤلاء الرجال ذوي القلوب الخوالي ليتهم يحبوني مفاخرة كحبهم
لي لقضاء ما ربههم

اني لاتألم من هذه الحياة اذ الموت خير من حياة بلا حب وقد
اصبحت لا املك شيئاً من ذخائر الحب حتى زهرة جافة احفظها في كتاب
او خصلة من شعر او كلمة حلوة تسترق القلوب يفكر فيها الانسان قبل
نومه حتى صارت الحياة خلواً من المسرات كما لا يشوبها ضر او فزع اشكو
او استغيت منه . فوا أسفاً صرت لا استطيع البكاء ولو خفية . اواه من
حزن ضاق به الصدر ذرعاً وهم يكاد يتفطر منه القلب . (مشيرة الى المدينة
التي تظهر من بعد) هذه فلورنسا والليل صافي الاديم والسماء مقمرة ولربما
نظرتني تلميذ مرة فوقع في حبال غرامي وغلبه حياؤه فعف وكنم حبه

وجلس بجانب نافذته شاخصا الى السماء يناجي النجوم فيصعد الزفرات
تارة ويثمل من نشوة امانيه طورا

ليت شعري كيف يحفظ العهد لحب لست له اهلا . ولكن لو عثر
به الجد ورماه في طريق المنكود فلا يظن ان قلبي يطاوعني على خذلانه
وتركه ليتيه في بيداء هيامه

واني لأعاهده على ان يشاطرنى آلامي كما سأهبه وحده نفسي
واضن على كل من يخطبني حبي

زانيتو (يعني على بعد)

احبب بفصل جاء بعد شتاء * فصل الربيع ووصل كل هناء
غارث ذكاء لحسنه فتألفت * ورمت اشعتها على الغبراء
وكذلك الاوكار دب ديبها * والجو خامرہ نسيم صفاء
والريش من قريها انى مشى * ماش رآه فوق وجهه الماء

سيلفيا

كل ينغصني ويغيطني حتى هذا الصوت الرخيم في الليل البهيم
وسرور الخلق يتبعني ويقتني منى الاثر . فيالقلب حزين وبال كاسف واني
وذاك الصادح على طرفي تقيض فاننا العن الربيع وهو يترنم بتمجيده

زانيتو (يعني وقد اقترب صوته)

فاسلمك بنا سبل الفراش لتلتقي * يا ابن السكرام بكاعب هيفاء

فهناك نمرح في ظلال خميلة * بالقرب من عين تروق الرائي
ونشاهد الغزلان غزلان النقي * تروي الصدى في هذه البطحاء^(١)

سيلفيا

النغم شجي والصوت عذب يستهوي الافئدة ولكني لا اعلم حال
هؤلاء الذين يدعون الحب فلندخل ولنترك الميدان فسيحاً للذين أسمعهم
الحظ والهناء

(ثم تصعد الى بيتها وهي تنظر حائرة الى الجهة التي ينبعث منها الصوت . ويأتي)
(زانيتو ومزهره (٢) على كتفه منأبطاً عباته وطرفها يكدس السكّاء وراءه ويدخل)
(متهملاً دون ان يلمح سيلفيا)

زانيتو (وهو واقف في صحن الدار)

رعى الله ليالي الصيف التي تمكن المسافر من الرحل الشائقة اذ يتناول
عشاءه في قرية حقيرة تحت دوالي السكروم وامامه منظر الغروب البهيج
ثم يتم ترحاله في شروق القمر ولا مطية له الا قدماه يسير مترنماً برقيق
الاناشيد كي لا يشعر بالنصب . سقيا لليالي الصيف اذ السماء صافية
تتلاها بها دراريها مبتسمة للمسافر لامعة من خلال اشجار الطريق
عشت ونعشت يا ليالي الصيف انت والامل . وها انذا على مقربة

(١) اننا لم نستحسن ترجمة هذه الانشودة نثراً فالتمسنا من احد فضلاء شعراء

العصر نظمها وأشار علينا بان لا نذكر اسمه (٢) المزهر هو العمود

من فلورنسا وسأعرف غداً أن كان المهدي باقياً على حبها لسماع انغام العود
وشجي الاغاني الغزلية . ولكني أرى النهار بعيداً وثيابي رقيقة
ومزهرى هذا احمله على كتفي كضفت على ابالة . واهل الخان
الآن في دعة واطمئنان . يطرق بابهم الطارق حتى يكل ساعده وهم كأنهم
صم وبعد الجهد الجهيد يفتحون وقد علا وجوههم السأم والضجر فن لي
بركن آوي اليه واقضي فيه ليلتي هذه

(ثم يلجح المقعد القديم بجانب الحائط)

هذا مقعد عتيق ولو انه مضجع خشن لكن الليل هادئ رائق
ونعم العشب من وسادة وان شعرت ببرد الليل فسئصلح الشمس في
الصباح ما افسده المساء وما علي الا ان ارقص قليلاً في الشمس فادفاً
واستأصل من جسمي شأفة البرد

(ثم يهبط للنعام)

سيان عندي هذا المضجع القرض^(١) وفراش وثير^(٢) . فما اجمل
النجوم وما احلى خان الخالق الذي لا يكلف اجراً

(ثم يمتد على المقعد ملتجئاً بعباءته وينام)

سيلفيا (ناظرة من سفح فناء دارها)

ياللك من غلام مسكين قد فعل كما قال . كنت اشكو منذ هنيهة
من جمال الليل فما اخبئني !

(١) اقض المضجع فهو قرض أي تترب وخشن ولم يطمئن به النوم (٢) لين ناعم

(ثم تنزل مسرعة الى الحضيض (١))

يلزمني ان ادعوه لاني لم أقم بواجب الضيافة ولم يقنني الوقت بعد .
يشكو الانسان من الصيف لانه يكون فيه عرضة للشجون ويود لو
يكون الليل حالكا معتما فينسى جميع هؤلاء البؤساء الذين يطوح بهم
الحظ المنكود في كل شرق وغرب ولا من يؤويهم ويواسيهم

(ثم تنظر الى زانيتو وهو نائم)

انه لنأتم نوماً هنيئاً سائغاً ولا ريب انه اعتاده وألفه . ولكنني صامتة
مضطربة امام هذا المشهد الرهيب من عزلة ووحدرة وليل اريج . وغلام
نائم بهيج . واني ليخيل اليّ اني اسمع دقات قلبي وكأن عاملاً جديداً
يحرك منه ماسكن ويشير ماهدأ حتى كدت افقد صوابي

(ثم تقرب من زانيتو وتطيل اليه النظر)

وأسفا انه لمائل لاماني

(ثم تأخذ يده بلطف)

هيا استيقظ فان هواء الليل ضار

(زانيتو يستيقظ ويرى سيلفيا فيدهش ويأخذ المعجب)

أأنت من بنات الجن ! لقد كنت الساعة اراك في احلامي وكنت

انظر اشباحاً بيضاء تمر عليّ تلو بعضها

سيلفيا

واها لك! لم تكن الا أشعة الكواكب تتخلل الاشجار

زائنتو

لا فما رأيته في عالم الرؤيا هو عين ما شاهده الآن واني لأتصور
انني عرفت صوتك أيضاً . ولو ان النائم لا يمي شيئاً لكن روحه تسبح
في عالم الخيال فتري وتسمع وتحدث وكنت اسمع ايضاً انغام موسيقى
شجية لم اسمع مثلها في المقام الديوي

سيلفيا

ما سمعته من الالخان الموسيقية لم تكن الا الاشجار تعبت بها
الصبا فتمايل غصونها ويسمع حفيفها

زائنتو

ولكن من تكونين اذا؟

سيلفيا

انني مفاجئة اعرض عليك طعاماً ومأوى ان كنت في حاجة اليهما

(زائنتو) وهو مطبل النظر اليها)

شكراً لك فقد تناولت عشائي متأخراً واستكفيت من النوم

سيلفيا (تخاطب نفسها على حدة)

اتقي الله وكوني عفوة ايها المرأة القاسية ! الا تفكرين ان الكل
يؤاخذك بل يصب لعناته عليك ان مس حبك هذا الغلام الغر بسوء

(ثم مخاطبه)

الا بحق لي معرفة من ينام تحت نافذتي ؟

زائتو

لك ماتبعين فاني لا اروم الخلفاء ومهنتي موسيقار^(١) واسمي زائتو .

ومنذ طفولتي وانا اجوب الآفاق وحياتي اسفار ورياضة واذكر انني

لم ابت ثلاث ايام تباعا تحت سقف . واعيش من وراء عشرين مهنة صغيرة

لا يحتاج اليها ولكن احقرها عندي اجلها نفعا

اعرف كيف انزل السفينة في البحيرة وكيف اسيرها . واعلم كيف

انتقي من الحديقة الغناء غصنين لدنين اشد عليهما الشباك بمثابة سرير وثير .

وأدري كيف اطلق الكلاب السلوقية مثنى مثنى وراء الصيد . واعرف

كيف اذلل الصعب من الجياد . واعلم كيف اصوغ القوافي وانضدها

كمقود الجمان في جياد الحسان . وفضلا عما ذكرته من الفضل الذي

لا يدانيني فيه مدان . في حلبة الرهان . ادري كيف اربي البزاة والصقور

وادربها الصيد . وفي الموسيقى لاسيما المزهرا اعد من الرؤساء الفضلاء

سيلفيا (وهي باسمه)

انت حائز لكل هذه المهن والفنون وتقضي اغلب لياليك طاويا^(٢)

زائتو

لقد صدقتك فيما سردت واني لا اعرف لنفسني ترتيبا ولا قاعدة

(١) موسيقي (٢) جالما

اسير عليها وساعة طعامي ليست محددة اذ طالما نسيته لان بلادنا لا تعرف
للضيافة حقاً وكثيراً ما اكون بعيداً عن بيوت الهناء والنعيم منزويًا في
ركن من غابة . وقد رددت قبل مجيئي غائلة السغب ^(١) بقليل من البندق
وذلك جمل في روح السنجاب ^(٢) ورشاقته

وبعد فكان الناس يحسنون وفادتي ويلقوني بالايناس والترحاب
لاني لا اشغل مكانا عظيما ويكفيني الشيء النزر

الجب القصور ليلا واعرض على اهلها ان اشنف اسماعهم برقيق الاغاني
وشجي الالحان وهم على المائدة ثم اصدق بصوتي الرخيم الرنان فاسترق
الاسماع والقلوب . وانا كل مرغوب ومطلوب . ويعطف عليّ رب القصر
وينفخني بذراع من الاروى ^(٣) الشهوي وطير سمين وان اشتيت شيئاً من
الصحاف الحارة فما هي الا نظرة اليه تكفيني مؤونة الطلب وان هو الملح
البصر أو هو اقرب ويكون امامي الصنف الذي تاقت نفسي اليه

سيلفيا

قد وعيت جميع ماسر دته واظنك متمماً تر حالك الى فلورنسا

زانيتو

سأعظمها بلا ريب ولكن لو اتفق وتقاطع امامي طريقان اقصد
أجملهما وأضرب صفحاً عن عزيمي السابق . اتبع اهوائي في اسفاري

(١) الجوع (٢) حيوان صغير في حجم القطة وله ذيل طويل ووبره مسترسل

ياوي الى اشجار البندق (٣) نوع من الحيوانات يقرب من الغزالان شكلاً

واجوب البلاد كالسحاب او كالأوراق الذابلة تطير كما تهوى الرياح .
لا أعلم من اين أتيت ولا اين ألقى عصا الترحال . فثلي كمثل الشاعر أو
المجنون يهيجان في كل واد . اتبع الطير في مسيره وتسمع اغاني مرة
واحدة لاني لا امكث في البلدة الا ريثما ابتاع بعض الازهار الجميلة لأزين
بها مزهري

انا الرحالة العجيب الذي حكم عليه الناس بالخلفة والطيش ويمرح في
ربيعه السادس عشر . ان امطرت السماء استترت تحت الحماثل المتكاثفة
ريثما يسكن المطر ثم اخرج من الغابة المبلة ضاحكا من قوس قزح
لم اجشم نفسي للحصول على الغنى والسعادة كما انني لم اصادفهما
قط . واني كالحاج المسافر في ضوء القمر يشرب من ينبوع المنفجر
ويخوض النهر من المحاضنة . مداوم سيره لا يقعه تعب ولا نصب

سيلفيا

الم تفكر قط في الاقامة بمد هذا السير المتواصل الذي تبثه فيك روح
النزق والطيش . وانك لتؤمل الاماني والآمال من الغد الخفي المبهم .
اما بصرت في ترحالك بمنعطف الطريق بيت صغير خيم عليه السكون
والدعة وهو في حلتة البيضاء الناصعة تكسوه النباتات المتسلقة التي حوت
من احاسن الازهار واريح الورود وببابة كلب جميل امين
ينام باحدى مقلتيه ويثقي * بأخرى المنايا فهو يقظان نائم
وبنافذته المفتوحة فتاة هيفاء دعجاء تحميك وانت مار

زانتو

طالما تيقنت ان اناشيدي اشبه بحجري قذف به في خميعة فيميج منها
ما كمن من الافاعي كبيرها وصغيرها . واني امام هذا المنظر الذي
لا يميل اليه الا كل حوشي سوقه اراني لا آلفه لكوني احب ان اترك
الاسر وشأنهم من الدعة والسكون

سيلفيا

الا تفرق في بحار امانيك حينما تبسم لك القتيات الحسان بما ينجل
البدور ويطرحن عليك من الازاهير التي يملقنها بصدورهن

زانتو

وما الفائدة من جراء ذلك ؟ بل كنت ارسل اليهن قبلة من بعيد
واذهب لشأني . وقد بينت لك ان اتمن الاشياء عندي الحرية . وان
احببت واطلقت لنفسي العنان في الحب صرت اسيره وافتقد رحلي الشائقة
واني الآن خفيف العبء لا احمل الاريشة ازين بها قلنسوتي ومزهري
على كتفي . واما الحب فحمل ثقيل ترزح من ثقله القلوب الشداد

سيلفيا

انك لطير صعب المراس لا يستطيع امساكه في قفص ليستأنس
ويستألف

زانتو

ان ذلك لحال

سيلفيا

الا يفكر طيرنا ان يصنع له عشا يوماً ما يأوي اليه

زانيتو

لا لا! فاني ارتعد خوفاً حينما اسمع اسم الحب . وانك لا تعرفين
حلاوة السفر ولذته كالفراش^(١) المتنقل على جميل الازهار لا يلبث على
احداها الا ريثما يمتص رحيقها^(٢)

سيلفيا

ليست السعادة ما تظنه . انك ذاهب الى فلورنسا ولا امل يقودك .
يرشدك الاتفاق وتأخذ بيدك المصادفات . وقد استعذبت الطريق
الجميل . ونسيم الليل العليل البليل . تتبع خطأً^(٣) طائراً . اوصبا^(٤) سائراً

زانيتو

الامر كما وصفت

سيلفيا

قد عرفت سيرك ولكن غاب عني مقصدك

زانيتو

انه لمبهم

(١) ابو دقيق (٢) اصطلاح كتاب علم النباتات على تسمية المادة العسلية التي
تفرزها بعض الازهار بالرحيق (٣) الطائر المعروف عند العامة بعصفور الجنة
(٤) نسيم الصبا

سيلفيا

وماذا يكون

زائتو

اني لا أعلم ما في الغد

سيلفيا

اود ان امد اليك يد المعونة

زائتو

لست في حاجة اليها وربما لا اخطو خطوة واحدة بعد جميع
 ماضى . وان نفسي تحدثني بامر ذي بال وذاك ان مثلي من لا يعلم له
 أباً ولا أمّاً لا يبعد ان يكون ابن قروي حقير او ابن سيد امير ولكن
 يغلب على ظني اني ولدت في صبيحة يوم جميل من ايام الربيع لان شمع
 السرور المرتسم في رأسي يمنعي ان اظني يتسماً ولغاية الآن وانا جائل
 كالفلو^(١) فرحاً مرحاً لا اطعم في عيش ارقى مما انا فيه . ولكنني يلزمني
 ان ابوح لك ياسيدتي بما يخالج صدري لما آتسته منك من اللطف والرقّة
 في مخاطبتي . فقد عاودتني الذكرى القديمة المبهمة فتذكرت اختلا لا اعلم
 الآن خبرها وما فعل بها الدهر

وحينما افهمتنى حقيقة المأوى الذي تكنتفه السعادة من كل صوب
 وهو بعيد عن اعين الناس تظله النباتات الجميلة التي اكتست بابهي

(١) ولد الفرس

الازاهير اراني الآن قد ابتدأت ان اشعر بوطأة التعب والنصب مما
تكبدته من مشاق الترحال والاسفار

ولقد تافت نفسي لما عرضته عليّ واراني منقاداً طائعاً لنصحك
فكوني طيبة القلب كما انت جميلة الظلمة . افلا تجربين اذن ان تحفظي
هذا الطير الشارد بجانبك ليألف ويستأنس بعد نفوره

واني اعاهدك بان اهجر عيشتي السابقة التي لا نظام لها واعيش هنا
ولا قصد لي الا ان اقضي عامة اليوم جالساً على وسادة تحت قدميك
اسامرك بما يقتل الوقت واشنف منك السمع باناشيد ترنح منك الاعطاف
وترقص ما يجول بخاطرك من الاماني والامال

سيلفيا

ما أنت الا طفل !

(ثم تناجي نفسها على حدة)

مالي اراني مضطربة خائفة من ان احوزه بجاني واحوطه بصنوف
الاعتناء والحنان ويستهووي سمعي حينما يناديني يا حبيبتي وهناك محط آمالي !
زانيتو

فهل لك فيما بحث به اليك

سيلفيا (على حدة)

وان قبلت ؟ لا فذاك محال ! ولكنه هو الذي عرض عليّ

الامر بنفسه

زائتو

اعلم يا سيدتي ان هذا منك كريم عظيم ولكن هل تسمح ارادتك؟

سيلفيا (على حدة)

سيعلم غداً من انا

زائتو

ما رأيك اخيراً؟

سيلفيا

لا استطيعه

زائتو

ولم لا تستطيعينه؟

سيلفيا

لست المرأة التي تظنها اذ لا يقوم باعباء ما تتنى الاسيدة سرية
لتعول امثالك من الشعراء والموسيقيين وترعاهم بعظيم عنايتها . اما انا
فقفيرة يعوزني المال والرجال

زائتو

امالك حاجب من الشرفاء؟

سيلفيا

لا

زائتو

ولا خادم

سيلفيا

كلا

زانيتو

انني اقنع بثمرة واحدة اتناولها في العشاء ويكفيني كرسي
انام عليه

سيلفيا

ليس في الامكان

زانيتو

ولكن

سيلفيا

انني ارملة لم تقض ايام حداثها وعائشة وحدها

زانيتو

واأسفاه ياسيديتي فاني لا اتطلب الا ان اعيش تحت قدميك

سيلفيا

قد طلبت محالاً

زانيتو

وداعاً لحظ سعيد هنيء تمناه القلب واشتاق اليه النفس ولكني
لا اياس من رحمة الله فلربما صادفت من سيلفيا من الهناء اسمعه ومن
النعيم أرغده

(سيلفيا على حدة)

ماذا يقول ؟

زائنتو

حيث استحال العيش بجانبك في الدعة والسكون مما حدثتني به
 النفس وانا مصغ لما سردته علي من الحديث فعلى الاقل جودي علي
 برأيك ومحضيني النصيح . فقد انبت منذ ايام ان في فلورنسا سيدة لم
 يثبت امامها قلب من القلوب ونظرة منها اشد فتكاً من السهم المريش
 وكافية لان تطرح تحت قدميها اشد الرجال بأساً . ولا ريب انك تعرفين
 اسمها وهو (سيلفيا) ويقال انها تعيش ببذخ ورفاهية والناس تفد عليها
 من كل فج عميق والسعيد من وفق لان يمكث عندها بضعة ايام .
 وهي تهوى الموسيقى الشجية من يد عالم ماهر ولا سيما المزهري وقد
 صممت ان ايمها

سيلفيا (على حدة)

اللهم رحمتك !

زائنتو

اني لا استطيع ان اجدلي مهنة في قصرها ولكن نفسي تتور فيها
 عواطف الكبرياء والأعجاب . ويشاع انها ذات جمال ساحر وحسن باهر
 ومن عاش بجانبها لا يستنشق الا نسبا مشؤوماً مسموماً واني لموجس
 خيفة فما قولك يا سيدي وقد اتمنتك وجعلتك موضع ثقتي .
 وانك نبذت ما عرضته عليك ولكن مهلاً فانك لم تبتني الامر
 بعد . وليت شعري لم اترسمت هذه الفكرة في غيالي وهو ان قلبك نحوي

منعم بحب يفوق حب الام لولدها وتودين لي الهناء والسعادة واني لتابع
لارشادك ماعشت فهل اقصد سيلفيا ؟

سيلفيا (على حدة)

قد فهمت الامر وسيعود غداً هذا العابر الذي يسمى الحب بلفظه
ومعناه بل هذا الخفي الذي ملأ قلبي حنواً ورقة وقد طوح به الى الحظ
وان هو الا السعادة المارة وانا اطردها ! لا لا فالنفس لا تقوى على اخاد
عواطفها الثائرة واني اريد ان ...

زانيتو

الاتعيريني سمعك قليلا فانك التزمت الصمت

سيلفيا (على حدة)

ان هذا لعار واسكني ساعتذر بان حظينا السيئين اختلطاً

مع بعضهما

(على مسمع منه)

اتريد رأيي ونصحي ؟

زانيتو

اجل

سيلفيا (بعد سكوت برهة تشكلم بشكاف عظيم وشدة)

اطمني ولا تقصد هذه المرأة التي تدنست بالعار وانك لغيرلا تعرف
هذه الامور حدث سليم القلب بسيطه لا تدري بما يحفك من
الضرر والسوء

ولو اني لما لم استطع ان اؤيك واواسيك كنت والاسف ملء فؤادي
اول رافضة لبغيتك ولكني قادرة ان انجيك الآن مما سيحقيق بك من
المكروه لو انقدت لرأيك

وكيف وانت ابن الغاب الذي يسير فرحاً مرحاً تداعب الصدى^(١)
وتعدو وراء الطير ويظلك الغمام ويروييك الينبوع بزلاله البارد
انت الذي تيمتك الطبيعة بحاسنها حتى خلا قلبك من كل شيء تصنعه
يد الانسان . وتغني مهللاً كالطير في سمانه وانت مبلل الخدين بالندى
تود ان تلج هذه الدار المشؤومة المحنقة

تدخل مع شمس الصباح هوا^(١) لم تكذب تنهي فيه وليمة الخلان
لتدنس شفقتك النقيتين بكأس ابتذلتها الرفاق والاخوان وتأكل فضلهم
الفاضحة الممقوتة

أتود ان تقع في مهاوي الفسق بالنظر الى عينيها اللتين اذبلها السهر
وذهب بطلاوتهما العهر . فاتق الله في عينيك المزريتين بصفاء السماء
وشعرك البهي المسجدي

اتطمع ان تنال من سيلفيا طعاماً ومأوى بانشودة او لحن . فغفوا
ايها البريء الطاهر الذيل فاني اخاطبك بلهجة حادة قاسية منع اني في حاجة
الى العفو والاعضاء وتراني الآن مضطربة ولكن ذلك من فرط حبي
لك كطفل تريد ان تنشله امه من مخالب الهلاك

(١) رجوع الصوت في بعض الاماكن (٢) القاعة الفسيحة المعروفة (بالصالون)

فابق على حالك من جوب البلاد راتماً في المروج النضرة الزاهرة
والرياض الاربضة الموثقة يصدق فيها مزهر كيتول^(١) من النحل وان
اكفهرت السماء فما عليك الا ان تذهب الى صاحب القصر الهرم أو
القروي ريثما يروق الجو ثم تتم ترحالك . وان صادفك في طريقك في يوم
باسم الصباح صافي السماء فتاة حقيرة ضربت من الملاحاة والطهارة بسهم
وافر وتليق لان تكون لك عروساً فمئنها تلقي عصا الترحال . وتحط
الرحال . وتميش معها مطمئناً خالي البال . والحصاد مهنتك . فهناك ترى
السعادة التامة والهناء العميم . والنعيم المقيم

زانتو

انني لك مطيع ولكن ربما كانت هذه المرأة براء مما ألقته بها
الالسة الحداد . ومن اخبرني بذأها قال لي ان قصرها يكاد ان يكون
هادئاً مطمئناً واني اعاهدك ان لا اعمها مادمت تعلمين طلعتها^(٢) ...
(يلوح من سلفيا اشارة تألم)

عفوا فقد مسست منك جرحاً دامياً على ما اظن . اما قلت لي منذ
هنية انك تقضين الحداد وذاك لا يكون الا لقد حبيب عزيز او اخ او
خطيب وربما كان ذهب ضحية لسيلفيا هذه
الم يكن ما جاش بخاطري قريباً من الحقيقة فكوني طيبة القلب وعفوا
اذا تصورت انك تتسرب اليك عمارب الغيرة ظانة انني ارمي الى زواجها

(١) السرب من النحل (٢) خبرها

سيلفيا (وقد اكفر وجهها)

لقد غرك يا صديقي الشك فاني لا آسف على أخ ولا حبيب ولكنه
طبيعي رحمة وشفقة على سيلفيا عالمة انها في الحقيقة اهل الآن لكرم يحمي
براعتها ولكن واهالغرض قاس من مسير على التلوج لاستطيعه الاقدام
وهي في الباطن تكره الرشيق القوام الطاهر الذيل . فارحل واعلم ان جل
نصحي لك ان لاتخرج عليها فهيا اذهب بسلام

(ثم تسمع بلهجة الالم)

انك لاتعلم حرج الموقف وما يشق علي من أمرك واجري عظيم
ان ضللت خطواتك عن هذا الطريق واني لأستحق على هذا البر الجليل
اكثر من الشكر والثناء الجزيل

(على حدة)

قد قضى الامر ولكن والأسفاه ان وقف على حقيقة امري

زانيتو

اني لا اعرج عليها اذا كنت حكمت عليها بحكمك هذا وسأرحل
ولو اني لا اجد اليوم الا قليلا من السعادة عما سبق لي من الحياة المشحونة
بالوقائع التي صادفت فيها كل الابتهاج والبشر . وتصعب الراحة والمقام
لمثلي لاني لمع لي بارق امل ضئيل من السعادة

وحينما رفضت ما عرضته عليك شممت من لهجتك حنوا ورقة

يخاطبهما تأثر استنبطت منه أنك تكتمين شجوناً عظيمة دليلها القاطع لفظة
التأسف الخلوة

سيلفيا (تناوله خائفاً)

لقد صدق ظنك ! نخذ هذا الخاتم تذكاراً

زانيتو (بشارة رفض)

لا ياسيديتي وانه لعل طراز قديم من ذهب جيد ومزين بفص كبير
من الماس النادر وهذا ما لا استطيع قبوله فشكراً لك. وكيف اقبله وانت
ارملة فقيرة

سيلفيا (على حدة)

ليت شعري هل عرف جليّ حالي وعلم من اين جاءتي هذه الحلي
المشؤومة ؟ اراه التزم الصمت وينظر الى نظرة تغض مني الطرف
حياء وخزيا

(بصوت عال)

ماذا تود ان اعطيكه؟

زانيتو

اشتهي تذكاراً لاعطاء واحساناً شيئاً لا يقوّم بقيمة ولكنه عزيز
عندك . ابني هذه الزهرة الذابلة التي كادت ان تجف في شمرك الفاحم

سيلفيا (تعطيه الزهرة)

واأسفاه ! نخذها وقبل طلوع النهار استبدل هذه الوردية في يدك واملي ان
تذكرك عهدي بان تنساني عند ماتدبل . واني اودعك الآن ايها العزيز

زائنتو (يقرب من سيلفيا وهي تباعد عنه)

سيدتي الي كلمة اخيرة اقولها والاضطراب يلعم لساني واخاف ان
أخذ طريقي الابدي وكما يخيل الى اني ضللت طريق السعادة ولا مسلك
هنا يوصل اليها فعليك اختيار احب الطرق لاسير فيه فامعني الفكرة
والبصيرة. وسأستقبل الجهة التي تشيرين اليها متكللاً على الله وحسن حظي
سيلفيا (وقد صعدت الى وسط سفح البيت)

(مشيرة الى الجهة المقابلة للمدينة)

اذهب الى ناحية الفجر

(ثم بخطو الى سيلفيا بعض خطوات ولكنها توقفه بإشارة منها فيذهب يائساً)

سيلفيا (وهي وحدها)

(تمسكت آونة مشكئة على مرفقها ناظرة الى زائنتو وهو يبتعد ثم تغطي وجهها

وتبكي بكاءً مرأً)

بارك الله في الحب فاني الآن استطيع البكاء



Edmond Rostand

ايدمون رويستان

بدر بزغ في سماء الشعر وفن الروايات التمثيلية ولد بمرسيليا سنة ١٨٦٨ وقد ابتدأ في عالم التأليف بمجموعة في النظم سماها (اللهو بالترهات والسفاسف) جمعت بين البلاغة والرقّة . ثم ظهرت اول رواياته التمثيلية (المولعون بسير ابطال القصص) سنة ١٨٩٤ وهي نظمية ذات ثلاثة فصول حوت روح (ماريشو ^(١) Marivaux) واسلوب (بانفيل ^(٢) Banville) ثم اتبعها برواية (الاميرة البعيدة) سنة ١٨٩٥ وهي طليّة النظم منسجمة العبارة استخرجها من سيرة من القرون الوسطى وبعدها بسنتين مثلت رواية (السامرية) وهي مستنبطة من الانجيل بديمة القريض رقيقة العبارة وأهم مؤلفاته رواية (سيرانودو بيرجيراك) سنة ١٨٩٧ وهي شعرية حماسية ذات خمسة فصول اهتزت لها اعطاف البلاغة طرباً وسارت بذكرها الركبان أوجد فيها مشرباً في الشعر مضادا للمذهب المحققين الفاضحين الذين يكشفون جميع ما استتر بلهجة تمك قارصة وهي في النظم

(١) كاتب روائي مشهور بسيط الانشاء سلسه رقيق العواطف ولد سنة ١٦٨٨ ومات سنة ١٧٦٣ (٢) نابغة من شعراء المذهب المطلق مشهور بمتانة قريضه وبلاغة شعره ولد سنة ١٨٢٣ وتوفي سنة ١٨٩١

بيت القصيد من شعر المؤلف تضم بين سطورها حماسية وحمية وشجاعة
ومروءة منسجمة القوافي شائقة المعاني

وفي سنة ١٩٠٠ كتب رواية (الهيم)^(١) وبطلها (الدوق دوريشناد) اي
نابليون الثاني وقد صادفت اقبالا عظيماً وتحلت بمحاسن السابقة

وقد انتخب المترجم في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٩٠٢ واصبح امير
الشعراء وله عدة قصائد نشرت على حدة وكان لها استحسان عظيم

وفي سنة ١٨٩٠ ظهر ديوان في الشعر لاحدى الانسات وهي في
ربيعها التاسع عشر باسم (المزامير) بديع النظم رائع المعاني لا يشوبه

التكلف فدهش المجمع العلمي حينما قارن بين عمر الفتاة وديوانها العظيم
ومنحها جائزة عظيمة . فتزوجها شاعرنا هذا في السنة التي ظهر فيها ديوانها

وهي السيدة (روزموند ايتيبيت جيرار) من الشعراء المشهورين ولدت
بباريس سنة ١٨٧١ وهي ابنة (الكولونيل كونت جيرار) وحفيدة

الماريسال (جيرار)



* ملخص رواية سيرانو *

رواية حماسية ذات خمسة فصول بدئاً بتبشيرها بباريس في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٧ بمسرح (بورت سان مارتين) فازت اقبالاً باهراً وكانت مجدداً ونغراً للشاعر لما انطوت عليه سطورها من الفكاهات والهزل الرقيق والاسلوب الادبي الطلي ومثانة القريض والحماسة الشائقة والمعاني الرائقة والروح الفرنسية الصريحة .
وهاك الموضوع :

تبع سيرانو دويرجيراك (وهو من مشاهير شعراء القرن السابع عشر) الى « نزل البورجونى » وهناك احتشدت الجموع من سكارى وسراة وممثلين وموسيقين وغيرهم . ثم نخرج على طاهي الشواء واصناف الحلوى « راجنو » وكان شاعراً يضحك من رآه اذ كان يملأ اكياس الورق الذي يلف فيه الحلوى بقصائده وعند ما ياتي مشتر يقف امامه زمناً طويلاً ريناً يقرأ الطاهي قصائده المكتوبة على الاكياس وينتفي واحدة منها اذ كان يرض بها وتذهب نفسه حشرات عليها

وهناك يدري سيرانو ان « روكسان » التي تيمه هواها تميل الى « كريستيان دونوفيت » فيصطحب مع هذا المنافس المزاحم ويدعوه لسمع مع الجميع القصيدة المضحكة التي يصف بها انفه الكبير فيغرق الجميع في الضحك من هذه القصيدة التي حوت من الملح والفكاهات ارقها ويزينها الالقاء البديع والفصاحة التي منحها هذا الشاعر

وصار سيرانو يساعد كريستيان في استمالة روكسان بان يملسه الرسائل البليغة لطيفته حتى اغترت به وظنته انه هو المحرر لها وازداد حبها له بفضلها .
ثم ننقل بالقارئ الى بيت روكسان فترى كريستيان واقفاً بعد الغروب تحت ظنف البيت وقد علت له السكابة واكدته الاسف فينظره سيرانو وهو مار فيستغيث

به كريستيان لينتشله من ورطته لانه كان عيا فظا. وقد ارادت روكان ان يجالساها للسمر فكان لا يعرف ان يخاطبها بكلمة غير قوله : « احبك » وصار يكررها حتى سئمت منه وقالت له حدثني عن الحب وكيف يكون فلم يجز جواباً فقالت له عبر عن وجدانك وشعورك على الاقل . فما كان منه الا ان لبث امامها كالبهيمة لا يدري غير قوله « احبك » حتى ضايقها وطرده

ثم رق له سيرانو ووعدته بالمساعدة واحتباً تحت الشرفة و اشار عليه بان بناديها فاطمت من نافذة الطنف وصار يلقنه سيرانو الجواب بمبارة بليغة واشارات دقيقة حتى ادهشها بفصاحته ومنجته القبلية التي طلبها منها في عرض كلامه حينما رآها رضية عنه بعد نفورها وغضبها ثم تزوجت به بعد مدة قصيرة

ثم سافر سيرانو هو وكريستيان الى معسكر « اخوان الجاسكونيين » ضمن الجند الذين سافروا وتبعت روكان زوجها وهناك قتل كريستيان برصاصة من الاعداء ودفن معه سر الغش والخداع الذي رتبته سيرانو ولعب دوره برشاقة الممهودة . وبعد موت كريستيان لبست روكان ثوب الحداد ودخلت الدبر وبعد اربعة عشرة سنة التقت بسيرانو وصار يتردد عليها في بعض الاوقات ويقص عليها سيرته الماضية واخباره سنة بسنة . وجبه لها ما فتىء يجري في عروقه مع دمه الى ان اتى يوماً من الايام وقد اغتاله احد الخدم وضربه بالسيف على ام رأسه فضمد جرحه وذهب الى روكان لينظرها النظرة الاخيرة قبل موته واعترف لها استدراحياً بحبه وانه هو الذي لعب هذا الدور الختال وخلب روكان وانه ما برح كائناً حبه فتأثرت روكان ورقت له ورثت لما قاساه هذه الاعوام الطوال بسببها وبكت وكان بودها لو يعيش وتقاسمه هذا الحب العذري والوفاء والاخلاص ثم قبلته في حبينه وهو يعترف لها بآخر كلمة الى ان اسلم الروح بين يديها

سيرانود ويبرچيرالك

Cyrano de Bergerac

Scène du Balcon

(منظر الطنف^(١))

روكسان

يخ ايج اهـذا انت ؟ قد خيم الظلام فانظر اذ ابتعد الجمع والهواء
لطيف والطريق قهر فلنجلس لتتجاذب أطراف الحديث. وهات ما عندك
فاني صاغية

كريستيان

« يجلس بجانبها على المقعد وبعد سكوت برهة يقول »

احبك

روكسان (تقفل عنها)

نعم فخدثني عن الحب

كريستيان

احبك

روكسان

هذا هو الموضوع فانسج القول

كريستيان

انا...

(١) البـلـكـون

روكسان

صنع القول

كريستيان

احبك كثيراً...

روكسان

بلا شك . ثم ماذا ؟

كريستيان

ثم ... انني اكون مبهجاً اذا احببتي ! - اجيبيني ياروكسان
اذا كنت تحبيني

روكسان (عابسة الوجه)

انك تقدم لي الحساء^(١) بينما اشتهي الزبدة ! تخبرني ببعض كليات
كيف تحبني

كريستيان

ولكن ... كثيراً

روكسان

اواه ! ... صرح بوجودك وشعورك !

كريستيان

« وهو مقترب منها وناظر لعنقها الوضاء بعين ملوؤها الشره والنهم »

بودي لو اثم جيدك ! ...

روكسان

يا كريستيان !

كريستيان

احبك

روكسان (وقد همت ان تقوم)

رجعت الى النعمة الاولى

كريستيان (وقد امسك بها)

لا ! فاني لا احبك !

روكسان

ان هذا لمن حسن الحظ !

كريستيان

احبك حباً شغف فؤادي

روكسان (وقد همت واقفة وابتعدت عنه)

اواه !

كريستيان

نعم . . . فقد صرت أحق !

روكسان (بخشونة)

هذا لما تمافه نفسي كما انك تزداد قبحاً في عيني من وقت لآخر

كريستيان

ولكن . . .

روكسان
هيا اجمع فصاحتك الهاربة المشتتة
كريستيان
انا ...

روكسان
اعرف جيداً أنك تحبني فاستودعك الله
كريستيان
لا تتسرعي فسا قول لك ...

روكسان (تدفع الباب لتدخل)
بانك تحبني ... نعم واعلم ذلك. لا لا ! فاذهب بسلام
كريستيان
ولسكني ...

« ثم تقفل في وجهه الباب »
سيرانو (وقد دخل منذ هنيهة دون ان يرى)
هذا فوز باهر!

كريستيان
اغثني

سيرانو
لا ياسيدي

كريستيان
انني اموت اذا لم احظ منها الساعة بالقبول والرضا

سیرانو

وکیف استطیع ایها الاحق ! اذ لیس فی الامکان حتی ارشادک الآن

کریستیان (وهو ممسک ذراع سیرانو)

هاک انظر ! (یری نافذة الشرفة مضاعفة غرقها)

سیرانو (وهو مضطرب)

نافذتها !

(کریستیان صائحاً)

سأموت !

سیرانو

خفض صوتک

کریستیان (بصوت خافت)

الموت

سیرانو

أرى الظلام حالکاً ...

کریستیان

وما العمل ؟

سیرانو

الامر متدارک ولكنک لست اهلاً له ... فقف ایها التمس امام

الطنف وانی سأختبئ تحتہ وألقنک ما ستخاطبها به من الکلمات

کریستیان

ولکن ...

سيرانو

اصمت

(الحاجبان (وقد ظهرا من بعيد يشيران الى سيرانو)

من ذا !

سيرانو

صه ! (ثم اشار اليهما بخفض صوتهما)

(الحاجب الاول (بصوت منخفض)

نحن آتيان من مونفلوري اذ كنا نترنم تحت نوافذ الحسان على

نغم العيدان

سيرانو (مسرعاً في كلامه)

هيا اكننا في جوانب الطريق وان مر احد مضايق فاضربا لنا لحناً !

الحاجب الثاني

اي لحن ايها السيد الجاصاندي^(١) ؟

سيرانو

لحن مضطرب ان مرت امرأة . ومحزن ان مر رجل !

(يفترق الحاجبان وينزوي كل منهما في ركن من اركان الطريق ثم يوجه خطابه

الى كريستيان)

ادعها !

(١) نسبة الى مذهب الفيلسوف جاصاندي

کریستیان

روکسان!

سیرانو (وهو يلتقط الحصى ايرمي به الواح زجاج النافذة)

انتظريثما نجتمع بعض الحصى

روکسان (وهي تفتح نافذتها)

من يناديني !

کریستیان

انا

روکسان

وما أنا ؟

کریستیان

کریستیان

روکسان (باحتقار)

اهذا انت ؟

کریستیان

أريد أن اخاطبك

سیرانو (وهو تحت الشرفة مشيراً الى کریستیان)

حسنًا فتكلم بصوت خافت

روکسان

انك لا تفصح الكلام فاذهب بسلام

كريستيان

عفواً؟ ...

روكسان

لا ! فانك لا تحبني أبداً؟

(كريستيان (يلقنه سيرانو الجواب)

يا لله ! تهمني بادعاء الحب بينا حي في ازدياد واشتعال

روكسان (وكانت عازمة ان تقفل النافذة فتوقفت)

عجياً ! فان هذا افصح من ذي قبل

(كريستيان (ملقنا)

الحب يشب في قلبي متأرجحاً في مهد روحي الحائرة فما اقسى هذا الطفل
الذي اتخذ روحي مهداً له

روكسان (وقد تقدمت الى حافة الطنف)

هذان من الحسن بمكان ! ولكنك احق لكونك لم تختق هذا
الحب في مهده اذ وجدته قاسياً !

(كريستيان (ملقنا)

لقد سولت لي نفسي ذلك وهممت به ولكن بغير طائل فان هذا
الطفل ياسيديتي اشبه بهرقل^(١) صغير

روكسان

ما احسن هذا القول !

(١) اقوى الابطال في (الميتولوجيا)

كريستيان (ملقنا)

حتى انه خنق ثمباني الكبرياء والشك بدون ادنى مبالاة

روكسان

لافض فوك ! ولكن لم تسرعت في الاندفاع في القول دون

استدراج ؟ فهل اصببت في عقلك ؟

سيرانو (وقد جر كريستيان تحت الشرفة ووقف محله)

صه فقد اصبحت الموقف حرجا ! . . .

روكسان

أراك اليوم تتكلم مترددا في القول فما الذي عراك ؟

سيرانو (متكلما بصوت خافت مقلدا صوت كريستيان)

قولي متردد لانه يتخبط في الغياهب باحثا عن أذنك

روكسان

ولكن كلماتي لم تتمثر في مخارجها كما تتمثر كلماتك

سيرانو

ستلقي هذه العثرات في القريب العاجل ! وهذا يأتي بطبيعته وان

فؤادي لواع وحافظ لجميع قولك وهذا مما يدل على عظم قلبي وصغر أذنك

اذ يلقف كلماتك اسرع من البرق ولكن كلماتي ياسيديتي حينما تصعد اليك

يلزمها وقت كاف

روكسان

ولكني اجد انها تصعد اليّ منذ هنيهة اطيب من قبل

سيرانو

قد تعودت من هذا التمرين !

روكسان

اني احذثك من علو شاهق !

سيرانو

صدقت وانك لو رميتني من حالق^(١) بكلمة قاسية لقتلتني !

روكسان (وقد همت ان تنزل)

انزل اليك ؟

سيرانو (بنشاط)

لا !

روكسان (مشيرة الى المقعد تحت الطنف)

أسرع وتسلق المقعد

سيرانو (وقد زاد اضطرابه)

دعيني انتهز ما تنفجني به الفرص من استطاعة التكلم بلطف

دون مشاهدة

روكسان

دون مشاهدة ؟

سيرانو

نعم فان هذا ليجذب القلوب . وانك ترين هذا الظلام المغمم وقد

(١) الجبل العالي

مد رواقه واني ألمح بياض ثوب من ثياب الصيف وما انا الا الظلمة وانت
الضياء ! وانك لاتدرين فضل هذه الدقائق عليّ ان انبعثت في بعض
الاحيان من في الفصاحة والبيان ...

روكسان

لقد أسعدتك البلاغة بنفحاتها

سيرانو

الى الآن لم يصدر كلامي من قوادي^(١) ...

روكسان

ولم ؟

سيرانو

لاني انما اخاطبك وانا بين ...

روكسان

بين اي شيء ؟

سيرانو

بين صواب مفقود وفكر ضال اذ لا يثبت احد امام ناظريك ! ...
ولكني يخيل اليّ اني سأخاطبك الآن للمرة الاولى !

روكسان

صدقت فانك تتكلم بصوت متغير

(١) لانه يتكلم عن لسان كريستيان ولم يتبدى بالتعبير عن وجدانه ووجه

سيرانو

نم متغير لاني في هذا الليل الأليل السائر الذي يحميني استطيع
ان اكون انا نفسي واستطيع ان ... (نم يتوقف وقد كاد ان ينمي عليه)
اين كنت ؟ لا أعلم ... كل هذا - عفواً عن اضطرابي فقد ثملت
من لذة هذا الموقف ... لانه لي جديد غريب !

روكسان

جديد غريب ؟

سيرانو (وقد انهك الناثر والاضطراب وهو مجتهد في تدارك كلماته)
نم جديد غريب ان يكون صادقاً : فان خوفي من ان يهزأ بي
ويسخر مني ^(١) ليلدغني في سويداء قلبي ...

روكسان

ولم يهزأ بك ؟

سيرانو

من عامل جاذب ! ... نم فقلبي يكتسي دائماً بعقلي ونفسي تحدتي
بان اقتلع النجم من سمائه ولسكني اتوقف لغرابة الامر واستبدله بالزهرة

روكسان

ان الزهرة جميلة

سيرانو

فلنحتقرها الليلة

(١) لانه كان دميم الوجه كبير الالف ولم يظهر حبه خوفاً من ان تهزأ به روكسان

روكسان

انك لم تخاطبني قط بمثل ما آنسته فيك الليلة من الرقة والبيان !

سيرانو

آه ! ان جرينا شوطا آخر في الكلام فهناك الكنائس^(١) والشعل
والسهام . والنجاة مقرونة بالاشياء الرطبة ! ولتشرّب نهلاً بدلاً من التعلل
بكاس صغيرة من الذهب الابريز من ماء (لينيون) العديم الطعم وان
سولت لنا النفس بان ترى كيف تروى الروح ان شربت نهلاً وغبت من
النهر العظيم

روكسان

ولكن أين النكات الادبية اللطيفة ؟ ...

سيرانو

كان ما كان لأطيل مكثك معي والآن ان تكلمنا كما ترومين فكاننا
نهرين هذه الليلة وهذا الطيب الزكي والساعة المنيئة بل الطبيعة البديعة
مثل قواتور (Voiture) وقصائده الصغيرة الرقيقة
ولندع السماء تجردنا من كل ما شكفه من القول بنظرة من دارديها.
واني لمشفق ان يكون في كيميائنا اللذيذة ما يخشى عليه من تبخر العواطف
أو ان النفس تنفذ من ملاهيها التي تقتل بها وقتها بغير طائل وان لا يكون
المكر العظيم غاية الغايات

(١) جمع كنائنة وهي جمعة السهام

روكسان

ولكن أين النكات الادبية ؟ ...

سيرانو

اني لأقت النكات في الحب ! وانه لمن الجرم في الهوى ان يستغرق فيه في المجالدة بالبيض الصفاح . وفضلا عن ذلك فانه يأتي في بعض الاحيان قسراً ولا يغني منه حذر

لهفي على الذين لم يدركوا هذه الاحايين القهرية ! التي نشعر فيها بحبنا الشريف الذي تشجينا منه كل كلمة رقيقة !

روكسان

وان وافئنا هذه الاوقات فماذا تخاطبني به من الكلمات ؟

سيرانو

كل مايجبني منها ارمي به اليك مكموماً دون تنضيده كباقة الزهر : فاني اهواك واكاد اختنق من الحب وقد شغفني هواك وجننت منه وليس في الجهد احتمال اكثر من هذا . واسمك في قلبي كانه في جلال . واني لارتعد حينما يهتز الجلال فيرن داخله اسمك

لم أنس ذكراك ومحب لكل بادرة منك واذكر انني في العام الماضي في اليوم الثاني عشر من شهر ايار رأيتك وأنت خارجة من البيت صباحاً وقد غيرت ترتيب شعرك الذي كنت استضيء بسناه الساطع مثلاً يحدق الانسان ببصره الى الشمس فانه يرى هالة ذهبية على كل مايقع طرفه عليه

رويستان (بصوت مضطرب)

نعم فان هذا من فرط الحب

سيرانو

حقيقة فان هذا الشعور الذي يغالبني لغيور مزعج ولا مصرية انه
ناشئ من الحب وبه كل أوصاف الحدة المحزنة وفضلا عن ذلك فانه ليس
معجباً متكبراً

ولو كان ينفعك ان أضمر سعادتي وهنأني الى نصيبك منهما ليكون
لك سهم وافر لفعلة لاني اسمع من بعيد ضحك ما تولد منهما مما ضحيت
من حظي

كل نظرة من نظراتك تحدث فضيلة جديدة وتمودني الجراءة .
فهل فهمت الآن وصرت على بينة من الامر ؟ أشعرين بروحي وهي
صاعدة اليك في هذا الديجور ؟ واني لأحار في وصف جمال ليلتنا هذه ؟
واني أقص عليك كل هذا الحديث وأنت مصغية الي . ولم يحم أملي القانع
على أكثر من هذا ! ولم يبق لي الا ان أموت حيث بلغت غاية الغايات
من الاماني والآمال !

وان كلماتي لهي التي هزت منك الاعطاف بين هاتيك الفصوص
كورقة يحركها الهواء بين أوراق الخمائل . وقد شعرت بارتعادك وعلمت
انه وفق وغبك اذ نمت أغصان الياسمين المتدلية بارتعاش يدك !

(ثم يقبل وهو تائه طرف غصن متدل من الياسمين)

روكسان

نعم واني لارتعد كالريشة في مهب الريح وأبكي اذ أحبك وانا لك
فقد نمت من حديثك

سيرانو

والآن قليأت الموت ! واني الذي عرفت كيف احدث هذه
النشوة ولا اتطلب سواها الا شيئاً واحداً . . .
كريستيان (وهو تحت الشرفة)

قبلة !

روكسان (ترجع القهقري)

ماذا تقول ؟

سيرانو

اواه

روكسان

انك تطلب ؟ . . .

سيرانو

نعم أنا . . .

(ثم يوجه خطابه الى كريستيان بصوت خافت)

لقد تسرعت وجريت لأبعد شأو

كريستيان

يجب ان ننتهز فرصة اضطرابها وننتفع بها

سيرانو (مخاطباً روكسان)

نعم ... طلبت ... حقاً ... فيالله ! لقد عاودني صوابي وعلمت انني
زادت جرأتني

روكسان (وقد انخدعت قليلاً)

الا تلح بعهدها في طلب شيء آخر ؟

سيرانو

نعم ! إلح ... بل بغير الحاح فاني أرى الهموم تغالب حيائك ! واخيراً
لا تمنحيني هذه القبله !

كريستيان (وقد جر سيرانو من عباءته)

ولم ؟

سيرانو

صه يا كريستيان

روكسان (وقد اطلت من الشرفة)

ماذا تقول بصوت خافت ؟

سيرانو

لاني جرئت شوطاً بعيداً فزجرت نفسي قائلاً : صه يا كريستيان
(يسمع صوت العيدان)

مهلاً ! ... فقد جاء مار

(تقفل روكسان النافذة وينصت سيرانو الى نغم المزاهر)

(وقد ضرب أحد الحاجبين لحنا مطرباً والآخر لحناً محزوناً)

لحن مطرب ولحن محزن؟ ... فما قصدهما؟ هل أتى رجل أم امرأة؟
لا فهذا راهب

(لنضرب صفحا عن دخول هذا الراهب ومحدثته فليس فيها اقل أهمية)

كريستيان

نل منها قبلة لي! ...

سيرانو

لا لا!

كريستيان

هل فات الوقت أو لم يحن

سيرانو

ستجيء هذه الآونة التي تنتشيان فيها من ثم الثغور لكونك ذا
شارب ذهبي وهي ذات شفة وردية
(ثم يخاطب نفسه)

وددت لو كانت هذه القبلة لسبب ...

(ثم يسمعان صوت النافذة وهي تفتح فيخشيء كريستيان تحت الشرفة)

روكسان (وقد تقدمت الى الطنف)

اهذا انت؟ كنا نتكلم عن ... عن ...

سيرانو

عن القبلة! وانها لكامة لطيفة لا أدري لم لاتستطيع شفتاك النطق

بها . وان احرقتهما فاذا يكون الامر ؟ فلا تزجي نفسك لاجلها
اما كنت تتركين بغير ان اشعر المزح ثم تتسريين دون ارتباك الى
الابتسام منتقلة الى التأوه ومنه الى ذرف العبرات . فما عليك الا ان تنتقلي
برشاقتك المعهودة من البكاء الى القبلية فما يخشى منها الا ارتعاد خفيف !

روكسان

اطبق فاك أيها الأفاك

سيرانو

القبلية ما القبلية ؟ وما ادراك ما القبلية ؟ قسم او وعد او اعتراف يحقق
او نقطة وردية توضع تحت باء كلمة الحب بل سر مكتوم يلققه الفم بدل
السمع او لحظة جمعت فاعوت من الهناء مالا يبلغه الوصف والحصر .
لها دوي كدوي النحل بل تناول طعمه معطر كالازهار بل انها وسيلة
يستنشق بها رائحة القلب ويذاق بها من حافة الشفاء طعم الروح

روكسان

مه !

سيرانو

ان القبلية لاشرف مما تتصورين ياسيديتي واقدم منحتها ملكة فرنسا
لأسمد لوردات الانكليز

روكسان

والنتيجة اذن !

سيرانو

عندي ما كان عند بوكنجام^(١) من خفي التباريح والآلام واني
احب مثله الملكة وما هي الا أنت وان هو الا انا مببل البال امين مثله
روكسان

اضربت من الملاحاة بسهم وافر مثله ؟

سيرانو (على حدة)

حقاً لقد نسيت اني جميل !

روكسان

هيا اصعد لتقطف هذه الزهرة التي مالها من نظير ...

سيرانو (دافعاً كريستيان نحو الشرفة)

اصعد !

روكسان

نعم تذاق منها القلوب ...

سيرانو

اصعد

كريستيان (متردداً)

ارى انها ليست ملائمة الآن !

روكسان

نعم لحظة جمعت فawعت من الهناء مالا يبلغه الوصف والخصر ...

(١) احد لوردات الانكليز وعاشق آن دوتريش ملكة فرنسا

سيرانو (وقد دفعه)

اصعد ايها الحيوان الاعجم !

(كريستيان يصعد متسلقاً المقعد ثم يمسك بالاغصان ومنها يخطو الى الطنف)
كريستيان

آه ياروكسان ! ...

(ثم يعانقها ويقبل شعرها)

سيرانو

اواه ! اية لدغة غريبة اصابك فؤادي ! - ايها القبلية بل يامأدبة
الحب التي انا محيها لقد تساقط علي في هذا الغيب بعض من فئات هذه
المأدبة . نعم يشعر قلبي انه هو الذي حظي بهذه القبلية حيث انه على هذه
الشفة التي اغترت بها روكسان لتقبل الكلمات التي فمت بها منذ هنيهة



Alphonse Daudet

الفونس دوديه

روائي فرنسي من النوابغ الذين يمدون على الاصابع ولد بمدينة نيم

سنة ١٨٤٠ وتوفي بباريس سنة ١٨٩٧

وبعد ما لبث استاذاً لكلية (آليه) مدة يسيرة رجع الى باريس

سنة ١٨٥٧ وفي السنة التالية نشر كتاب (الماشقات) وهو مجموعة نظمية

وان كانت بها بعض مواضع ضعيفة لكنها من الرقة والسلاسة بمكان

ومكث نحو عشرة اعوام يحرر في الجرائد وللمراسيح . وكتب

(رسائل ثرثاري^(١)) سنة ١٨٦٦ . واهم قصصه ورواياته: (الشيء الصغير) سنة

١٨٦٨ (وتارتارين تاراسكون) سنة ١٨٧٢ و (قصص يوم الاثنين)

سنة ١٨٧٣ و (فرومون الصغير وريزيه البكر) سنة ١٨٧٤ و (چاك)

سنة ١٨٧٦ و (النباب^(٢)) سنة ١٨٧٧ و (الملوك في المنفى) سنة ١٨٧٩

و (نوماروميستان) سنة ١٨٨١ و (كتاب الانجيل) سنة ١٨٨٣

و (سافو) سنة ١٨٨٤ و (تارتارين جبال الالب) سنة ١٨٨٥ و (الخالد)

سنة ١٨٨٨ و (مرفأ تاراسكون) سنة ١٨٩٨ و (دائرة وظيفة الكاهن

الصغيرة) سنة ١٨٩٥ و (عائل الاسرة) سنة ١٨٩٠ و (تذكار كاتب)

(١) الثرثار هو الكثير الكلام (٢) لقب هندي يمنح لمديري الاقاليم واضباط

حاشية ملوك اسرة تيمورلنك

و (ثلاثون سنة بباريس) و (خلال حياتي ومؤلفاتي) سنة ١٨٨٨
وكتب عدة روايات تمثيلية نخص بالذكر منها (لارليزيين) وهي
المؤلف الرئيسي للمترجم . وقد طار صيته في عالم الادب وزاده جمالا
الموسيقى الفرنسي الشهير (بيزيه Bizet) مؤلف (كرمين) بان وضع
لها موسيقى شائقة شجيرة ترقص القلوب طرباً وترنح الاعطاف
بنشوة نعمها

ويعد كاتبنا هذا في مذهب المحققين حتى ان غالب قصصه تمثل
الحقائق مرئية ومحسوسة بعين شاعر . ولو انصفنا في وصفه لقلنا انه
شديد التأثير في كتابته . وكان مقتدراً في وصف الاشياء وصفاً صادقاً
عارفاً بالمعادات والاخلاق وعلم النفس وجيداً في المعاني المبتكرة وفن
التمثيل . ولم يظهر في عالم الروايات القصصية في عصرنا هذا مؤلف يفضل
(سافو) و (كُتَّاب الانجيل)

La Dernière Classe

الدرس الاخير

هذا الموضوع وان كان بسيط الانشاء لكنه يضم بين أسطوره غيرة وحماسة
على اللغة والتمسك بها والتفاني في صيانتها والعناية بها اذ هي مفتاح سعادة الامة
وسلم ترتقي به الى أوج المجد والفتخار . وقد دعاني لكتابة هذا مشاهدته من اهل
المنشأة لغتهم العربية وبذل مافي وسعهم لاتقان الانكليزية حتى ان كثيراً منهم وان
كانت درجاتهم في العربية أقل بكثير من الانكليزية فانما يعطونها بكرم حامي

حدث صبي من الازراس عن نفسه قائلاً : قمت متأخراً صبحية يوم الى المدرسة وقد أخذ الخوف مني كل مأخذ وخشيت ان يعذّرني استاذي بما يحمر منه الوجه خجلاً ويغض الطرف حياء وخزيا لانه نبه علينا بحفظ اسمي الفاعل والمفعول اللذين لا أعرف منهما حرفاً واحداً . فخالجتني الفكرة بان لا اذهب الى المدرسة وامرح في الحقول والرياض وكان الوقت دافئاً والسماء رائعة والشجارير تغرد على الغصون بما ينسي الشجون . وكان الجند الجرمانيون يترنون في مرج (ريپر) وراء معمل نشر الخشب . ولكنني غالبت نفسي ويمت المدرسة وحينما مررت على دار العمدة لاحظت جماعاً عظيماً مزدحماً يقرأ اعلانات منشورة . ومنذ عامين وهذه الدار هي التي تنبئنا بأسوأ الانباء من حروب خاسرة واوامر جديدة مضايقة . فقلت ترى ماذا جرى ؟

ثم ذهبت عدواً الى قاعة الدرس فرأيت أستاذنا المسيو هامل يمشي جيئة وروحة ثم قال لي اغم مكانك فقد اوشكنا ان نبدأ الدرس دونك يا بني فهرولت الى مقعدي وقد انصرف عني بعض الروع وشاهدت أستاذنا لابساً حلته الرسمية وكان لا يلبسها الا في يوم الاحتفال بتوزيع الجوائز او عند قدوم احد المفتشين

ورأيت بعضاً من اهل القرية جالسين في قاعة الدرس فذهب بي العجب كل مذهب وشاهدت الجمع ساكتاً ساكناً كأن على رؤوسهم

الطير بوجوه حزينة مكفهرة ثم صعد المسيو هامل على منبره وقال بصوت حوى بين الخلاوة والشدة :

« أولادي ! هذا درسكم الاخير الذي يجمعني واياكم فقد صدر »
 « الامر من برلين بتعليم اللغة الجرمانية والنقاء الفرنسية في الازراس »
 « واللورين وسيقدم غداً أستاذكم الجرمانى الجديد واذا كان هذا »
 « درسكم الاخير الفرنسي فارجو منكم ان تعيرونى آذانا صاغية »
 « وقلوبا واعية »

فانقطعت نياط قلبي من هذه الضربة الفاجعة وعلمت فحوى الاعلانات المعلقة بدار العمدة فوا أسفاه على لغتي الفرنسية !

وانا الذي لا احسن الكتابة قد وقف بي الطالع المنحوس والجد العائر الى هذا الحد. وكنت منذ هنية اود ان انقطع عن الدرس واجوب الخلاء . وكتب اللغة التي كانت تضايقني ظهرت امامي الآن كأعز صديق لا أقوى على مفارقتها . وكما ان المسيو هامل سيفارقنا من الغد ولا نراه بعد فقد نسب عقابه وضربه

لبس كسوته الرسمية احتراماً واحتفاءً بهذا الدرس الاخير وكذلك حضر رجال القرية آسفين على ان لم ينتابوا المدرسة في اغلب الاحايين وليقدموا واجب الشئ والشكر لهذا الاستاذ الجليل الذي ربى أولادهم وصيرهم رجالاً منذ أربعين عاماً

ثم جاء دوري وسألني في درسي فياليتني كنت ذا كرتة والقيت الآن امام هذا المجمع اسمي الفاعل والمفعول بصوت جهوري واضح ولسان فصيح دون لحن أو خطأ . ولكنني تلعم مني اللسان بعد الكلمات الاولى وصرت واقفا أهتز بقلب غليظ مطرق الرأس خجلاً متوقفاً زجر استاذي اذ قال لي :

« لا أعنفك ولا أزجرك يا بني وانك لتستحق العقاب وهاك »
 « ما سيحيق بك . تقصرون في حفظ دروسكم وتؤخرون عمل اليوم »
 « لقد حتى المت بكم هذه الفادحة وهي اعظم فاجعة داهمت الازراس »
 « لتسويف قومه في عمل واجهم »

« اليوم يحق لاعدائنا ان يقولوا لنا كيف تدعون انكم فرنسيون »
 « وانتم لا تحسنون قراءة لغتكم وكتابتها ولكنك يا بني لست وحدك »
 « الملووم بل نحن جميعنا »

« ان اهلك لم يوجهوا جلّ عنايتهم لثقتيفك بل كانوا يفضلون ان »
 « ينتفعوا من ورائك ببعض دريهمات بان تشتغل في احد المغازل او »
 « تفلح الارض . ويحق لي ان ارشق نفسي بسهام اللوم والتعنيف لاني »
 « كنت اعطلك في بعض الاوقات لتروي حديقتي »

ثم انتقل استاذنا الى التحدث عن شأن اللغة وانها افضل اللغات الاجنبية وامتها ويجب علينا ان نمض عليها بالنواجذ لان الامة اذا نشبت

فيها مخالب الاستعباد يكون املها في الخلاص والسعادة بقدر تقدمها في لغتها وتمسكها بها

ثم طفق يلقي علينا الدرس ويشرحه وقد رأيت اني فهمت جميع ما سرده بسهولة لم اعهد لها واذكر انني لم اصغ مدة وجودي في المدرسة الى الدرس كذاك اليوم ولم يصبني ملل . وكأن استاذنا اراد قبل مبارحته لنا ان يلهمنا جميع معلوماته في درس واحد

ولما انتهى الدرس ابتدأنا في الكتابة وهياً لنا استاذنا نموذجاً جميل الخط كتب عليه . فرنسا . الزاس . فرنسا . الزاس . وقد عمل منه جملة صور فرقها علينا

فكانت امامنا اشبه باعلام تخفق امامنا نهبت منا القلوب واثارت الشعور واهاجت المواطف وهزت الافئدة حتى عم السكوت فكنت لا اسمع الا صرير الاقلام على الطروس

وبينما نحن سكوت اذ حط على سقف المدرسة سرب من بنات الهديل وانشأ يغني فقلت في نفسي . ليت شعري ايلزمون يوماً ما هذه الجمائم بان تغني باللغة الالمانية ايضاً ؟

كنت من وقت لا آخر المبح خفية المسيو هامل فكان جالسا لا يبدي حراً كما كاسف البال مردداً طرفه في بيته الصغير بالمدرسة تعاوده الذكرى القديمة من تمضية اربعين سنة في هذا البيت وامامه قاعات الدروس وبفناء داره شجر الجوز الذي زرعه صغيراً من هذا العهد حتى

شمع وملاً فضاء المدرسة وبجانبه حشيشة الدينار قد تسلفت على الحائط وزينت النوافذ ثم تسربت الى العرش وبينما هو على هذه الحالة من اسف لفراق معاهد شابت فيها نواصيه اذ نادته اخته ليساعدها في تجهيز الامتعة والحقائب ليسافرا في الغد

ولقد تشجع واعطانا الدرس الى نهاية الوقت ثم دقت ساعة الكنيسة مؤذنة بالظهر وأعقبها موسيقى الجرمانيين وهم قادمون من التمرين فوقف أستاذنا وقد علاه الاصفرار وظهر بمظهر العظمة والهيبة قائلاً :

« ايها الاحباب الاعزاء اني ... »

ثم اختنق صوته من شدة انفعاله ولم يقو على اتمام حديثه فأخذ قطعة من الطباشير واتجه نحو اللوح الاسود وكتب بحروف متناهية في الكبر

لتحي فرنسا !

ثم مكث في موضعه ورأسه مسند الى الحائط وقد كاد ان يغشي عليه ثم أشار الينا بيده دون ان ينبس ببنت شفة بإشارة تؤذن بالانصراف



Théophile Gautier

تيوفيل جوتييه

من فحول النظم والنثر الفرنسيين ولد بتارب سنة ١٨١١ وتوفي بنوي
سنة ١٨٧٢ . دخل باريس في مقتبل عمره فمالج اولافن التصوير ثم
انتقل الى الشعر وقرض بعض قصائد حازت استحساناً عظيماً

ولقد اعجب به الكاتب الشهير في الانتقاد (سانت بوف - Sainte-
Beuve) هو وفيكتور هوجو ومن وقتئذ اوجد له مكاناً رفيعاً في عالم
الادب مدة الاربعين سنة التي مرت بعد ظهوره

وقد حرر في جملة مجلات وجرائد ووضع عدة كتب وكان شاعراً
وروائياً وكاتباً في الروايات التمثيلية ومنتقداً مشهوراً وعالماً بالآثار والفنون
الجميلة مما شيد له مجداً حصيناً ونفراً رفيعاً . وكان له اثنان احدهما من
مشاهير الكتاب وهي (چوديت جوتييه) تزوجت بالشاعر المصري
الشهير (كاتول منديس Catule Mendès) وانفصلت منه سنة ١٨٦٩
ولها من المؤلفات ما يزيد عن العشرين كتاباً

اما مؤلفات تيوفيل جوتييه فعديدة جدا ومتفرقة وقد قدرت في

ثلثمائة مجلد ونخص بالذكر منها الأهم

ففي الشعر : (البيروتوس) سنة ١٨٣٣ و (رواية الموت) سنة ١٨٣٨ و (اسبانيا) سنة ١٨٤٥ و (الفصوص المنقوشة والميناء ^(١)) سنة ١٨٥٢ وهو من روائع البلاغة متين القريض منسجم العبارة

ومن اشهر رواياته : (ليچون فرانس) سنة ١٨٣٣ وفيها يضحك ويهزأ بعنفوان شباب المذهب المطلق و (مدموازيل دوموپين) سنة ١٨٣٥ وبها مقدمة مؤثرة و (فورتونيو) سنة ١٨٣٨ واخبار وقصص لا سيما (الملك كاندول وازيا مارشيلآ) و (رواية الجثة المحنطة) سنة ١٨٥٨ و (القبطان فراكس) سنة ١٨٦٣ وهي شائعة مضحكة فريدة في بابها من اسلوب رواية (الرواية المضحكة) التي وضعها (سكارون Scarron) الشاعر المشهور وصاحب الروايات الهزلية

ووضع في الانتقاد الادبي : (من يهزأ بهم) سنة ١٨٣٣ وهو دفاع عن الشعراء الذين كادوا يسقطون من انتقاد (بوالو Boileau) مثل (سانت امان Saint - Amant) و (سكارون) وغيرهما وكان الفضل في ارجاع مكانة هؤلاء الشعراء وقدرهم وشهرتهم راجعا لهذا الكتاب و (تقرير على القريض الفرنسي) سنة ١٨٦٨ و (تاريخ المذهب المطلق) سنة ١٨٧٤ و (تاريخ فن وضع الروايات التمثيلية من ٢٥ سنة) سنة ١٨٥٨

(١) جوهر الزجاج الذي يصنع منه وتطلق الآن على المادة الزجاجية الملونة التي توضع على الحلي حول الفصوص او وحدها

وجملة ملحقات روائية وتراجم خصوصاً للروائي الشهير (Balzac)
 والشاعر الشهير (Bodelaire)
 وأنشأ عدة كتب في الانتقاد الفني على معارض الصور والرحل
 في اسبانيا والروسيا وإيطاليا والآستانة وعدداً من الروايات التمثيلية
 النظامية الصغيرة وغيرها

وشاعرنا هذا وإن كان في بعض المواضع قليل الفكر والمواقف
 لكنه متين الانشاء رقيقه ولقريضه شجوجديد . وقد اعاد شباب الشعر
 المبتكر وكان كما وصفه (بودير) شاعراً مجيداً خالياً من العيوب وعالمًا
 كاملاً أتى بالمدحشات في عالم الادب

Le Soulier de Corneille

حذاء كورني

هذه النكتة التاريخية وربما كانت فكاهة خرافية تمثل شاعر الفرنسي كورني
 وقد شاخ واقتقر واقفاً امام حانوت اسكاف حقيير ليخصف نملاً لا يملك غيرها ودعاه
 الحال لينظرها ربنا يصلحها الاسكاف

في منمطف طريق بوسط باريس ازدحمت فيه السابلة وعلت جلبتهم
 كان شيخ ماشيا الهوينا بقدم متساقطة وشكل غريب غارقاً في بحار تأملاته
 وخياله غائصاً في الوحول وهو غير شاعر . مرتدياً بعباءة لم يبق بها مسكة

وكان نظره كنظر النسر وفوداه^(١) أبيض من لجين . يمثل بكبريائه
وخيالاته الصور القديمة التي ابتدعها بنان المهرة من المصورين الذين لو
رأوه لاختاروا وجهه نموذجاً للونمة النحاسية التي تمثل وجوه القدماء
من المشاهير

وكان يخيل للناظر ان كل ثنية من ثنيات حده الغائر تدل على فكرة
ويقرأ في عينيه السوداوين ضجر وملل

أشرقت الشمس بعد احتجابها وصفت السماء وكانت النواظر تغضي
مهاة امام عطارده الذي يسمونه الدينار وقد قضى (بوالو^(٢)) لياليه الثمينة
في تمجيده وأتى (منصار^(٣)) بالمعجب العجيب للحصول عليه

ثم وقف كورني العظيم امام حانوت صغير بمكان قدر حافي القدمين
منتظراً الاسكاف ريثما يخفف له نعله

ولقد كان يمشي (هوميروس^(٤)) في أرضه المباركة على الرمل
الذهبي عاري القدمين في طرق يونية وهو بثوبه الابيض الناصع كتمثال
من المرمر صنعته يد (فيدياس) مصور التماثيل المشهور

ولو أنى هوميروس بباريس ومشي بخفه دون ان يخشى الفضيحة

(١) الشعر الذي فوق الاصداع (٢) شاعر وكاتب منتقد فرنسي (سنة ١٦٣٦ —

سنة ١٧١١) (٣) مهندس فرنسي مشهور (سنة ١٥٩٨ — سنة ١٦٦٦) (٤) اكبر

شعراء اليونان ومؤلف الاباظة والاوديسيه

لأجله يوم مطير لان يرفع خفه كما حصل لمؤلف (اوراس) و (سينّا)
وهو الذي بفضلہ أسمعته الهة الشعر المصور الطائر الصيت (ميکیل انج)
بنفحاتها العظيمة فأبدع في تصوير عظماء اليونان ايما ابداع

لويس أيها الملك العظيم ! ان هذا القصص الذي يعافه كل ذي ذوق
سليم او بكلمة واحدة هذا الخداء المرقع لتجعل رقعته وصمات في ملكك
بينما العشاق ترفل في الدمقس وفي الحرير

واني ليحزني ان أرى كورني يعاني البؤس ألوانا . وكيف هذا
الخانوت القذر وعرشك الفخيم رفيع العماد تزينه ازهار الزنبق ويختال
في بردين من زخرف وبهاء . وطيلسانك من الخمل الأرجواني . فهلا
رعاك الله تعطف بشيء على أمير شعراء عصرك وقد اناخت عليه الشيخوخة
حتى كاد يموت فقراً في زوايا النسيان . ولقد خلفت نقطة سوداء في صحائف
تاريخك البيضاء وكلفاني وجهه شمسك من تركك كورني بلا خداء
ومولير بغير قبر

ولكن على م نغضب اذ سنتساوى الخطوظ ويجمعنا الموت سواء
ويجر النسيان ذيله على الملك ويطويه في خبر كان ويبقى ذكر الشاعر
حياً خالداً

وقد حفظ قصر قرساي تماثيل الندماء وذهب ما كان فيه من التماثل
وغاض ماؤه الذي كان يزينه بنوافيره المتنوعة العديدة بعد ما كان مقر
الملوك . فمن خلد بعد موته العظمة ام العقل الراجح ؟ طلع الفجر على

احدهما وخيم الظلام على الآخر وظهر طيف لويس في حديقة فرساي
التي اختطها (لونوتر) الشهير دائماً على وجهه يتخبط في ليل أليل . وخلد
ذكر كورني كاله من آلهة القدماء وما فتى يرى وهو على منبره النيران
والاضواء الموقدة احتفاءً بعبيده واعلاءً لشأنه

وحينما يبلى تاج الملك الذهبي ويصير رماداً نرى غار^(١) الشاعر معمر^(٢)
نامياً مخضراً نضراً بينما نرى الشاعر على مر الاعوام يعظم ويخلد ذكره
والملك يتضائل حتى ينسى



(١) الغار شجر معمر معتدل القامة كان القدماء يعملون من اطراف قته تيجاناً
للاظافرين في الحروب (٢) المعمر في اصطلاح النباتيين الذي يعيش من النبات دائماً

Pierre Corneille

بيير كورني

نادرة زمانه وغرة دهره في الشعر ولد بمدينة روان سنة ١٦٠٦
ومات بناريس سنة ١٦٨٤ وقد تلقى دروسه بمسقط رأسه بمدرسة
اليسوعيين ثم أتم دراسة الحقوق

واول رواية تمثيلية ظهرت له (ميليت) سنة ١٦٢٩ واعقبها برواية
(كليتاندر) و (الارملة) و (بهو القصر) و (التابعة) و (الميدان الملوكي)
وقد اتصفت هذه الروايات بحسن التعبير وشريف العادات

وفي سنة ١٦٣٣ قدم كورني الى الكردينال (ريشليو) وصار ضمن
(الخمسة المؤلفين) الذين عهد اليهم الكردينال وضع الروايات التي رتب
موضوعها بنفسه ولكنه انفصل بعد مدة صغيرة لانه لم يوافق مشربه
وفي سنة ١٦٣٥ ظهرت روايته المحزنة (ميديه) ولو ان بها بعض
عيوب ولكنها تضم بين سطورها ما بثه خيال الشاعر وهو في عنفوان
شبابه من القوة والحماسة والعظمة

ولعلمه فن وضع الروايات التمثيلية الاسبانية وضع تباعاً روايتي
(الغرور المضحك) سنة ١٦٣٦ وفي السنة نفسها كتب رواية (السيد)
التي رتب له موضوعها الشاعر الاسباني (جيليم دو كاسترو) وهذه

الرواية افشحت الروايات المحزنة الفرنسية وارخت بها ودخلت في دور كمالها وتهذيبها. ولا تباع لهذا الشاعر الاسباني صار نابغة في الشعر المقيد واميره في عصره وهذب ما كان في المؤلفات الاسبانية من الركاكة والضعف وقد قوبلت (السيد) من الجمهور بحماسة وحمية خارقة للعادة ولكن اغلب الشعراء وكتاب النقد في عصره تألبوا على انتقاده ودونوا كتاباً سموه (النزاع في السيد) انتقدوا فيه على الشاعر لانه لم يدقق في مراعاة الاصول والقواعد وان الموضوع غير متين ولكن ذلك الانتقاد الموهوم لم يؤثر على نخر الرواية ومجدها الرفيع. والذي حرض الشعراء والمنتقدين على الشاعر هو (ريشليو) لانه كان يحسده على هذا النجاح والفخر ويفار منه. ولم يقنع هذا الرجل العظيم الداهية الذي كاد ان يفترسه الطمع والنهم بالاستبداد بالسيطرة والهيمنة على فرنسا وانخفض من الاسرة المالكة النمساوية التي كانت منها ملكة فرنسا (آن دوتريش) واضطراب جميع اوربا امامه من سياسته ودهائه بل اراد ان يضم على هذه السعادة والسلطة والعظمة نظم الروايات ليث فيها ما يهوى من سياسته الجهنمية لتكون معيناً وممهداً جديداً في التأثير على العقول وفق ارادته. فابتدأ يعالج نظم بعض روايات ولكنه لم يفلح ورأى ان رواية (السيد) قد سحبت ذيل النسيان على جميع مؤلفات عصره فالتهب قلبه حسداً وقام محارباً كورني بخيله ورجله اذ سلط عليه الشعراء والكتاب وقد ثبط هذا الانتقاد همة الشاعر مدة من الزمن وضمن على

المراسح برواياته نحو ثلاث سنين . ثم عاد الى الكتابة ووضع عدة روايات مواضيعها منتظمة استنبطها من التاريخ الروماني فابتدأ برواية (اوراس) و (سينّا) سنة ١٦٤٠ و (يوليوكت) و (موت پومپيه) سنة ١٦٤٣ و (رودوجون) سنة ١٦٤٦ و (ايراكليوس) سنة ١٦٤٧ و (الكذاب) سنة ١٦٤٣

وفي سنة ١٦٤٧ انتخب كورني في المجمع العلمي الفرنسي وكتب من ذلك الحين (اندروميد) و (دون صانش داراجون) و (نيكوميد) سنة ١٦٥١ و (سيرتوريوس) سنة ١٦٦٢ و (اوتون) سنة ١٦٦٤ وقد ابعده عن المراسح بضع سنين سقوط رواية (پيرتاريت) ثم ترجم من اللاتينية شعرا كتاب (تقليد المسيح) سنة ١٦٥٦ وكان له اقبال عظيم ونجاح باهر

ثم عاد الى دور التمثيل بعد ان تركها ست سنين وظهر على المسرح ومعه رواية (ايديب) سنة ١٦٥٩ قائلا :

« اني لأحس بنفس الشعور والجراحة التي انتقدت (السيد) وحاربت »
« (اوراس) ولكنني اجد اليد عينها التي خطت روح (پومپيه) العظيم »
« ودهاء (سينّا) »

امتاز شاعرنا هذا برنة الحزن المؤثرة في قريضه ولو أن شعره في بعض المواضع به بعض اهمال ونقص في الطلاوة والبهجة ولكنه رنان القافية وآية في الحماسة والحمية وشهامة النفس والاباء وقوة الارادة وثبات

العزيمة والتفاني في حب الوطن مما يدهش السامع ويأخذ بمجامع قواده
ويحدث له نشوة طرب لا توصف

Horace

اوراس

رواية محزنة (سنة ١٦٤٠)

الملخص

كان شيخ من رومية يسمى (اوراس) وله من البنين ثلاثة شبان وفتاة تسمى
(كامبي) وكان في مدينة (الب) التي كانت قديماً المدينة المتنافسة لرومية وقريبة
منها شيخ آخر يقال له (كورياس) وله مثل اوراس ثلاثة فتيان وفتاة اسمها
(ساين) وكانت الثمانتان مخطوبتين كل منهما لشاب من هاتين الاسرتين
ولما انشبت الحرب بين رومية والب وكل منهما تنازع الصولجان والسلطة وطالت
بينهما الوغى ارادا ان يجعلا حداً لها ويحقنا الدماء واتفقا ان ينتخب كل من الفريقين
ثلاثة ابطال ينازلون بعضهم والفريق الغالب تكون لمدينة حق السيادة على الاخرى
فانتخب عن مدينة رومية اولاد اوراس الثلاثة وعن (الب) اولاد كورياس
فوقعت الاسرتان في حيص بيص وتجاذبهما عاملان قويان : ابراعيان اواصر النسب
وذمامه ويرفضان طلب الوطن وذلك محال ام يشهران السيوف في وجه اصهارهم
وذلك صعب الاحتمال. واخيراً فضلا تلبية نداء الوطن. وبنينا النضال مسنعر بين فتيان
الاسرتين كان اوراس الكبير في منزله مع ابنته كامبي وساين ابنة كورياس ينظرون

بفارغ الصبر نتيجة هذا القتال اذ دخلت عليهم سيدة رومانية اسمها (جوليا) وهي
خليلة الفتاتين لتخبرهم بنجر المعركة

اوراس الكبير - ساين - كامبي - جوليا

اوراس الكبير

ما وراءك ياعصام . اجئت يا جوليا مبشرة بالنصر والظفر ؟

جوليا

كلا ! بل بما حاق بهذه المعركة من الشؤم والنحس اذ اصبحت
منه رومية خاضعة لالاب بعد هزيمة اولادك وقتلهم اذ لم يبق منهم
غير الخاطب

اوراس

ياخطب عظيم ومصاب اليم وقتال مشؤوم اصبحت منه رومية تابعة
لالاب . ولوجالد لا آخر رمق لحماها وصالها . لالا فذاك محال فقد خدعت
ياجوليا اذ لا يتأتى سقوط رومية الا اذا كان ابني في بطون الرموس فاني
اعرف دي حق المعرفة وهو يعلم ما يفرضه عليه الواجب

جوليا

لقد رآه الف مثلي من ابطالنا وادهش الجموع اقدامه وبسالته قبل
موت اخويه ولكنه لما لبث وحيداً امام ثلاثة اقران عتاد وقد اوشك ان
يقع في قبضتهم لم يجد بداً من الهرب لينجو بنفسه

اوراس

ألم يجهن عليه ويحمد انفاسه جندنا المخدوعون ! امهدوا له سبيل
الفرار من بين صفوفهم ؟

جوليا

اني لم ارد ان انظر شيئاً بعد هذا الخذلان

كلمي

واحسرتاه على اخويّ

اوراس

كل ذلك عظيم مقبول . فلا تنكي الجميع لان اثنين منهما تمتعا بحظ
جميل يحسدهما عليه ابوهما . جلال الله لخدمتهما بأفخر الورود والازهار . وقد
استعصت عن فقدتهما مجداً وسؤدداً . وسعادتهما التي تبعت بسألهما التي
خانها الدهر ان رأوا مدى حياتهما زومية رافلة في حال الحرية القشبية
ولم يشاهداها خاضعة لغير اميرها او تابعة لمملكة بجوارها

ابكي الآخر ونوحى على مالحننا من المار الذي لا يمحي . اندبي
فراره الفاضح الذي وصمت به جباهنا وارثي للشنار الذي دنس امتنا
والفضيحة الدائمة التي انتصت باسم اوراس

جوليا

ماذا تبغني ان يعمل فرد ضد ثلاثة ؟

اوراس

ابتغي ان يموت او ان يعتريه بأس جميل فيمضده ويفيشه . هلا ارجأ

هزيمته آونة لينظر^(١) فيها اسنعبادرومية وبحفظ وقارشبي وكانت هذه البرهة
ثمنا عظيما لحياته . وانه لمدين لوطنه بدمه اذ كل قطرة يضمن بها منه
تذهب بنضارة مجده

وما من لحظة تمر بدم هذا الدور الشائن الا وتظهر خزني وعاره
للملأ كالشمس في رابعة النهار . وسأقطع هذه الصلة واصب جام غضبي
على ولد ليس للبنوة اهلا واربه حق الوالد واقتص منه بان اتبرأ منه على
رؤوس الاشهاد جزاء فعلته هذه

ساين

ارعني سمعك وهون من غلواء حميتك وحماسك ولا تجعلنا في غاية
التعس وسوء الحظ

اوراس

يسهل السلوان والعزاء على فؤادك يا (ساين) فان مصابنا لم يمسك
بشيء يذكر ولم تشاطرينا في بؤسنا . وقد نجى الله بملك واخوتك فان
أصبحنا خاضعين مستعبدين فلبلاذك اذ ظفر اخوتك حينما خائنا نكد
الطالع . وانك ترين ارفع ذرى^(٢) نخارهم ولا تنعمي النظر فيما لحقنا من
الخزي . وهواك المبرح لهذا الحليل^(٣) المرأة سيجعلك في القريب العاجل
تثنين منه مثلنا . وبكاؤك لاجله دفاع ضعيف واطلب من الالهة العظام
وقدرتهم السامية ان تفسل وتطهر عار الرومان بدمه

(١) يؤخر (٢) جميع ذروة وهي قمة الجبل أو ما ارتفع من اعالي الاشياء (٣) الزوج الوغد

ثم يدري اوراس من فالير بالخدعة الحربية التي رتبها ابنه اذ لم يقصد بهربه الا
تفريق السكورياس الثلاثة ثم تفرد بهم واحداً بعد الآخر وقتلهم جميعاً . ولا يعاب
بحيلته هذه فليس في استطاعة الفرد ان يكافح ثلاثة اقران
ولما رجع ظافراً الى دار ابيه كان اول من قابله اخيه كامبي وقد اياسها وقطع
آمالها موت حبيبها ولم تخش بكاءه امام اخيها فتوسل اليها ان تفضل حب الوطن على
هوى حبيبها لان الروماني مدين بحياته لوطنه ولم يولد الا ليحميه فاجابته بصب
اللغات على رومية

لغات كامبي

رومية وهي بيت التصيد في اشارة غصبي وحقدي ! رومية التي
لأجلها قتلت يدك الاثيمة حبيبي ! رومية التي شهدت مولدك وعبدها
فؤادك ! رومية التي امقتها لانها منحتك هذا المجد والشرف ! سلط الجبار
عليها جيرانها فتعاونوا على تقويض اساسها الذي كاد ينهار . وان لم تكفها
امم ايطاليا فليأتأب عليها اهل المشرقين بل مائة امة متحدة من اطراف
العالم هي والبحار والاطواد تأتي لتخريبها . ولننقض عليها اسوارها حتى
تمزق بايديها معالمها ومحاسنها . وان تمطر عليها غضب القادر المستعمر من
دعواتي طوفاناً من نار متوقدة . واتاح الله لي ان اشاهد الصواعق تهوي
عليها وارى بعيني دورها وقد استحال رماداً وغارها ^(١) وقد صار غباراً

(١) شجر الغار وقد سبق شرحه

واشاهد آخر روماني وهو يحتضر في النفس الاخير واكون انا وحدي
السبب في دمارها ثم اموت من شدة وطأة السرور

(ثم يمدو اوراس الصغير وراء اخذه والسيف بيده مسلول)

قد طفح السكيل ولم يبق في القوس منزع والحق وحده الذي
يفسح للصبر مجالاً . فهيا اذهبي الى الجحيم لتأسفي هناك على حبيبك كورياس
كامي (وهي مجروحة وراء المسرح)

آه يالك من خائن غادر !

اوراس (وقد عاد الى المسرح)

هذا جزاء وفاق لسكل مجترىء مهما بلغ شأنه تجاسر ان يبكي
عدوا رومانيا

Que la Vérité parle au dedans du Cœur

Sans aucun bruit de paroles

ما اعظم الحقيقة تتكلم باطن القلب دون ان تلغظ بقول

ناجني ناجني يا رباه فعبدك مصغ لك : مقرر بعبوديتي لاني عبدك
واود ان اكونه واسير على سذنتك ليل نهار . افض علي بروح منك لتعلمني
ما تفرضه علي ارادتك العلية القدسية ووحيد رغائي في سمع فضائك
الكريمة . وجرد بلاغتك الالهية من ساطع انوارها وصبتها داخل
فؤادي بغاية السكون مخضلة بالندى البليل جزيلة لطيفة

تخشون بلاغة القادر يا بني اسرائيل وتظنون ان الصواعق والموت
تبعها مدمرة كل شيء . وانتم الذين لم توفقوا في الصحراء لاستماع كلامه
العلي اذ قلتم لموسى :

« خاطب ربك والتمس منه ان لا يكلمنا فاننا نخاف ان تعترينا »
« غشية الموت من صوته الجهوري الرنان »

انني بعيد عن هذا الفزع والرعب فاتوسل اليك ربي اذ اتنى غير
ما تمناه بنو اسرائيل وقد هروا اليك والأمن ملء فؤادي لأتضرع
اليك مع صموئيل^(١) بكل خشوع اذ يقول:

« ولوانك الفرد الذي اخشاه لكنك الأحد العلي الذي آمل »
ان يسمعي : ناجني يا الهي فعبداك منصت مطيع »

لست في حاجة لموسى ليهديني سبيلك او لنبي غيره يفسر لي شريعتك
اذ انت الذي تعلمهم وترسلهم ولا أطلب الا صوتك العلي . وحيث انك
مصدر ما جاؤا به من الانوار التي كان لها الفضل في انارة ضمائرنا ففي
استطاعتك ان تمنحني اياها كاملة دون توسطهم فانهم لولاك لما كانوا
شيئاً يذكر

انهم يستطيعون ان يعيدوا كلامك ولكنهم لا يقدرّون ان يلقوا

(١) قاضي قضاة بني اسرائيل

روح معناه وتأثيره اذ لولاك لكان حديثهم صرخة في واد يهزأ به
ويستخر منه

ومهما صاحوا واتوا بالعجائب في حديثهم وصدعوا بأمرك بحمية
وعزيمة قوية فانهم لولا كلامك لدخل قولهم من اذن وخرج من
الآخرى دون ان يؤثر على القلوب او يجد اليها سبيلا . وانهم يبدرون
الكلم الغامض البسيط العاطل ولكنك تنير البصائر في ظلام الجهالة الخلاك
وتفيض من اعلى سمائك على رسالتهم المسئمة المملة روحا تحييها وتجعل لها
قوة وتأثيراً

افواههم تبلغ رسالتك كالمعميات والاسرار ولكنك تعلمنا ما خفي
من المعاني ولولا تفحاتك الربانية وفيوضك العلوية لما فهمنا ما يلقونه الينا
من شرعك وسننك . يدلولنا على الطريق ولكنك أنت الذي تعطينا من
القوة ما نستطيع به اقدامنا سلوكه لنهائته . وكل ما يجيئنا منهم لا يتجاوز الا
الظاهر ولكن قدرتك تنفذ الى اعماق كل شيء

لولاك لما سقوا الا ظاهر النفس ولكنها تستمد خصبها من قوتك
اذ كل ما ينيرها ويحمسها لا يصدر الا من قدرتك وارادتك

وقصارى القول ان هؤلاء الانبياء الذين ملأوا الارض قولا وصياحا
اذا كانوا لا يؤثرون على عقولنا مما افضت عليهم من تفحاتك القدسية لما
عددناهم الا في عداد الاصوات الصائحة

صه اذن يا موسى ! وتكلم بدله ايها الدائم الثابت . ناجني يا حق لثلا

اموت مدفوناً في ثلوج تجردني من الفضائل . وان لم تزد نعمك العميمة
وافضالك العظيمة رغبتى واشتياقي الى مناجاتك فاللوت خير لي
وان لم يؤثر الوعظ على القلوب ولم يمس الا الظواهر كانت عاقبته
وخيمة لانه يُسمع برغبة وقتية ويعرف من غير ان يحب ويؤخذ قضية
مسلمة دون مناقشة وهذا مما يمت القلوب ولذلك اقتضت حكمتك
وعدالتك ان تعاقب الجاحد وتجازيه جزاء وفاقا
ناجني اذن يارباه فعبدك الامين المخلص قد جمع حواسه وايقظها
لتنصت الى مناجاتك اذ تجد حلاوة الحياة الدائمة في لهجتك العلية
ناجني لتمزي نفسك اضنتها الحيرة . ناجني لتقودها الى ما يرفع شأنها.
ناجني اذن فمجدك الرفيع ما زال ناميا سامياً

Stances à la Marquise

قصيدة الى المركيزة

ان كان وجهي ايتها (المركيزة) جمعه الكبر فاعلمي انك لا تفضليني
حينما تبلغين ما بلغت من العمر . ومن شيمة الايام سرورها من اهانة^(١)
الانسان وستعيب بورد خدودك كما جمعت جهتي . وكذلك تكون

(١) اي اهانتة في قوته وجماله من تأثير الشيخوخة

الكوأب بمسيرها ايامنا وليالينا . وقد رأني الناس وانا مثلك وسوف
تصيرين مثل حالي الآن

اني الآن حائز لحاسن ومفاخر^(١) شائقة ترد عني غائلة المخاوف والمهموم
من سطوات الدهر وحملاته^(٢) . وانت مزدانة بما يحب ويمشق^(٣) ولكن
ما تحقرينه مني يستطيع ان يستمر على الدوام بينا يذهب بهاء ما عندك
وتنقضي نضرتة^(٤) ويقدر على نجاة نحر عينين تروقي ملاحتهما وتخليد ذكر
ما يعجبني منك آلافا من السنين^(٥)

وهذه الأمة التي تجاني لا تعبرك من ربات الجلال الا بقدر ما قلته
فيك . وافتكري ايتها المركيزة الحسنة انه ولو كانت النواظر تنفر من
الشائب فجدير به ان يلاطف ويستمال اذا كان مثيلي

Les hommes doivent s'entre-secourir

يجب على الناس ان يساعد بعضهم بعضاً

تألم وتوجع من عيوب الناس دون ان تنبس بسخط او شكوى

(١) يقصد بمحاسنه هنا فضله وعلمه وادبه (٢) يريد بها وطأة الهرم والضعف
(٣) اي بالجمال والحاسن (٤) اي بعد انقضاء جمالها وزوال محاسنها يبقى ويستمر
ما تحلى به الشاعر من الفضل والعلم على الدوام (٥) يقول ان فضله وادبه هذا قادر
على تخليد محاسن هذه الجميلة وذلك بان نظم لها هذه القصيدة فصارت الناس تذكرها
بالجمال لغاية الآن الى مدى الازمان

مهما اتوا من كبار العيوب واعلم ان كلا منا به منها ما يجعل الناس تن من .
وان كان ضعف عزيمتك يضع امامك من العقبات ما يحول دون امانيك
فكيف تطلب هذه المعجزة من غيرك كما تريد وتهوى ؟

أليس من الظلم البين ان تبني من غيرك ان يكون كاملاً بينما انت
مغموس في مساوئك ولا تروم ان تطهر نفسك منها لتكون
نموذجاً لغيرك ؟

ولو كان الكل كاملاً لاستراح الناس ولم يلاقوا في الدنيا ما يتألمون
منه ويحتملونه لوجه الله ولم يجد هذا الصبر المشبع بالفضائل مسوغاً له .
ولكن حكمة الحكيم اقتضت غير ذلك

لم يحرز احد نهاية السكمال في الطيبة والجمال . وما برأنا ^(١) الخالق
ليعفينا من ان يحمل البعض عن الآخر أثقاله واعبائه بدوره
ما من احد خال من العيوب وضعف العزيمة غير محتاج للمعونة
ويكفيه عقله وحده لان يكون عاقلاً كيسيّاً او عزيمته وحدها لان
يكون قادراً قوياً

فالواجب علينا اذن ان نتحاب ويعلم بعضنا بعضاً وتعااضد في اعمالنا
وتبادل اليقظة في سلوكنا وتعاون في الاستشفاء من الادواء ^(٢)

Jean Racine

جان راسين

نادرة من الشعراء المفلّحين الفرنسيين الذين مهروا في الشعر المحزن ولد بمدينة (لافيرتيه ميلون) سنة ١٦٣٩ ومات بباريس سنة ١٦٩٩ . مات ابوه وامه وتركاه يتيماً في الرابعة من عمره وادخل في العاشرة مدرسة (بوفيه) وفي السادسة عشرة الحق بمدرسة (بوررويال) لتتيم دراسته وكانت اساتذته فيها (نيكول) و (هامون) و (لانسيلو) وقد صيره هذا الاخير من نوابغ العارفين باحوال قدماء اليونان وتاريخهم وآدابهم ثم درس الفلسفة بكلية (اركور)

كان هو و (لافونتين^(١) LaFontaine) و (موليير^(٢) Molière) و (بوالو — Boileau) تربطهم عرى الوداد والصداقة في سنة ١٦٦٤

(١) الشاعر الفرنسي الشهير الذي نظم قصصه المشهورة عن لسان الحيوانات سنة (١٦٢١ — ١٦٩٥) وهو أعظم شاعر في هذه النوع وترجمت قصصه الى اغلب اللغات وعربها الشاعر الحفيد عثمان بك جلال وسماها العيون اليواظ في الامثال والمواظ (٢) كاتب نابغة من الفرنسيين سنة (١٦٢٢ — ١٦٧٣) وهو اعظم شاعر في الروايات المضحكة واول من ابتدعها ولم تظهر لغاية الآن رواية تضارع رواياته حتى صار فريدا لا يجاريه مجار وكان ممثلاً ماهراً ورئيس جوق

مثّل له (مولير) هو وجوه روايته الاولى (لاتيبايد) ثم اعتبها برواية (اسكندر الاكبر)

وفي سنة ١٦٦٧ وهو في السابعة والعشرين ظهرت روايته الشهيرة (اندروماك) وبها طارت شهرته وأثبتت اقتداره الفائق في فن وضع الروايات ومن ذلك الحين تتابعت مؤلفاته وكلها آيات معجزات تماقت في ظرف عشر سنين وهي : (الحامون) سنة ١٦٦٨ رواية مليحة النكات وست روايات محزنة وهي : (بريتانيكوس) سنة ١٦٦٩ و (بيرنيس) سنة ١٦٧٠ و (باجازيت) سنة ١٦٧٢ و (ميتريدات) سنة ١٦٧٣ و (ايفيجيني) سنة ١٦٧٤ و (فيدر) سنة ١٦٧٧

دخل في الجمع العلمي الفرنسي سنة ١٦٧٣ وكان من المقربين عند الملك لويس الرابع عشر اذ جعله مستشاراً له ومؤرخاً وبعد ما بلغ هذا المجد الرفيع اعتزل المراسح وهو في السابعة والثلاثين من حملات الكتاب والشعراء الظالمة على رواية (فيدر) ورموه بوساوس دينية بالنسبة لمواطنه ووجدانه في اعترافاته في هذه الرواية

ثم تزوج بفتاة ساذجة تقية تدعى (كاتيرين رومانيه) ورزق منها بخمس بنات ترهبت منهن اثنتان وولدين احدهما (لوى راسين) وكان من مشاهير الشعراء والكتاب

لبث هاجراً المراسح اثني عشر عاماً ثم الحت عليه مدام (ماتينون) بان يكتب روايتين لفتيات مدرسة «سان سير» ويكون موضوعهما مستنبطاً

من التوراة فاجاب طلبها ووضع رواية « ايستير » سنة ١٦٨٩ و « اتالي » سنة ١٦٩٠ ومثلتهما بنات المدرسة السابقة فحازت الاولى اقبالا عظيماً ولكن الثانية لم تصادف ما احرزته الاولى ولو انها ابلغ ماخطه بنان الشاعر والسبب راجع الى التمثيل لان التقيت لم يحسنوا تمثيلها واطفأوا بلاغتها المتوقدة

وكتب نثرا « ملخص تاريخ پوررويال » وجملة رسائل بليغة وقطماً تاريخية . ويشاع ان الملك لويس الرابع عشر غضب عليه في اواخر ايامه فاغتم غمماً شديداً اودي بحياته

ان قارنا رواياته المحزنة بروايات كورني نجد لها مطابقة مثلها لقاعدة « الواحدة » المتبعة في الشعر المقيّد وهي تشتط في ثلاثة امور : « بساطة الموضوع » و « حصوله في يوم واحد » و « وقوعه في مكان واحد او مدينة واحدة »

وتمائلها أيضاً بقلة اشخاصها اذ كان يهيمه ان يمثل موضوعاً ادبياً يجاذب قلب الابطال تمثيلاً صادقاً يقرب من الحقيقة . وتفترق روايات راسين عن روايات كورني في خمسة أمور :

اولاً — انها اقل حماسة وتأثيراً واشخاصها القريبون من الحقيقة ضعاف العزيزة كاغلب الناس وعواطفهم ليست دائماً شريفة ولا اعمالهم خارقة للعادة . فلذلك قال « لا برويير ^(١) La Bruyère » : « كان كورني

(١) كاتب فرنسي مشهور في الاخلاق سنة (١٦٤٥ - سنة ١٦٩٦)

يمثل الناس كما يليق ويجدر بهم ورأسين يصورهم كما هم عليه «
ثانياً — مؤلفاته كلها ماعدا «ايسثير» و «اتالي» مفعمة بالمعاطف
المادية العامة من حب يختلف بين الرقة والحياء والشدة والنحس والجرم.
ولكن كورني وضع الحب في صف ثانوي واتبعه بمعاطف راقية شماء
كالشرف وحب الوطن. وتروى في روايات رأسين ان النساء تحرز
المكان الارفع فلذلك تحدث الناس بإبطال كورني الذكور وفرسان
رأسين الاناث

ثالثاً — انها لاثير من النفوس حميتها وحماستها واعجابها مثل كورني
ولكنها تحدث تأثيراً مغايراً كأيقاظ الشفقة في القلوب والهموم والخاوف
وبث عواطف الحب ولكن كورني ترنم بشعور العظمة والاباء
وعززة النفس

رابعاً — ان كورني كان يمنح اشخاص مؤلفاته الذين استنبطهم
من المصور القديمة مبادئ الشهامة والمروءة والتبجح باعمالهم الجليلة ولكن
رأسين كانت رواياته مرآة تنطبع فيها أحوال عصره واخلاقهم وعواطفهم
ومبادئهم الاجتماعية تحت حكم لويس الرابع عشر
خامساً — انشاء رأسين متين متساوي الاطراف شائق نقي شجي
تلبسه جرأة متوارية

Iphigénie

نبذة من رواية ايفيجيني

اختطف (باريس) بن (بريام) ملك طروادة (هيلانة) زوجة (منيلاس) ملك اسبرطه فاستشاط غضب اليونان واجمعوا على حصار طروادة وتخريبها وحشدوا جيشاً عظيماً وجهزوا اسطولاً في ميناء (اوليس) بقيادة (اجاممنون) اخي (منيلاس) وابي (ايفيجيني) ولكن خاتمهم الرياح ولم يستطع الاسطول ان يقلع لانه كان شرعياً فاصبح الكل يتلهب غيظاً لما طال المدى عليهم وهم منتظرون بلا طائل . فاستشار اجاممنون الوحي بواسطة العراف (كلئكس) فرد عليه قائلاً : ان الرياح لا تهب الا اذا ضحيت اليونان فتاة من دم يوناني قرباناً للآلهة وظهر له ان هذه الفتاة هي ايفيجيني

وقد طلب اجاممنون ابنته في المعسكر ليحميها من الهلاك مدعياً انه ما طلبها الا لزوجها اشيل اعظم ابطال جيشه ولكنه ونجحه ضميره فارسل اركاس تابعه الامين ليعنها عن المجيء وكان ذلك بمدفوات الوقت اذ حضرت ابنته ووالدتها (كليتمنيستر) والفتاة (ايريفيل) اسيرة اشيل وكانت هذه الاخيرة هائمة بهذا البطل فبذلت وسعها للتستحوذ على فؤاده وتنسبه ايفيجيني

ورغماً عما بذله اجاممنون من التكتيم فقد أنبا اركاس والدة ايفيجيني بامر الآلهة وخضع اجاممنون لمشيئة الوحي وجاء يطلب ابنته بنفسه ليقودها الى كلئكس

ولما سمع اشيل هذا الخبر اقسم بان يدافع عن ايفيجيني بينما تعاتب كليتمنيستر زوجها على هذه الخيانة . وكان الملك في اول الامر متكبراً معجباً غير متأثر ولكنه رق اخيراً وتلطف على الفتاة وامها واثار عليهما بالهرب لينجوا من هذا المصاب

الاليم ولكن ايريفيل نمت بما تم من امر الملك الى اليونان . وبينما ايفيجيني ماشية بعزم قوي الى المذبح اذ قال العراف كلئكاس بان ايريفيل من دم يوناني ايضاً وهي التي تحب تضحياتها فاتحرت الفناة حينما سمعت هذا ونجت ايفيجيني وهبت الريح كما اشتهدت السفن وسافر الاسطول واشتفت قلوب ابطاله بعد ما يئسوا من الانتظار الممل

اجاممنون - كليتيمنيستر - ايفيجيني - ايخين^(١)

كليتيمنيستر

تعالى بنيتي فانهم لا ينتظرون غيرك اذ انت ضالتهم المنشودة .
تعالى لتشكري ابا يحبك ويود ان يقودك بنفسه الى المذبح^(٢)

اجاممنون

مالي اراك بنيتي ساجدة المبررات غاضة امامي الطرف ؟ ما الذي
اثار منك هذه الشجون وابكاك انت ووالدتك . لقد خاني التمس
اركاس

ايفيجيني

سكن من اضطرابك وكن هادىء البال يا أبت فأمرك مطاع
عند اول اشارة . وما حياتي الا من طولك ونعمتك وعاريه تريد ان

(١) تابعة لكليتيمنيستر (٢) تقول ذلك بنهم

تستردها . ونحن مستمعون لارادتك بعين قريرة وقلب خاضع كما قبلت
الزوج الذي وعدتني به وتراني اذا لم يكن لنا مناص من الامر ضحية
مطبعة تعرف أن تمد رأساً بريئاً الى سيف كل كاس محترمة هذه الضربة
القاضية التي سمحت بها ارادتك لأرد اليك دمًا منحتني

وان كنت ترى ان هذا الاحترام والطاعة يستحقان ان يكافآ بجزء
آخر وانك مشفق على آلام هذه الأم ورائف بها فاني اتجراً ان اقول
انه ربما صادفني من المجد والشرف ما احاط بحياتي من كل صوب مما لا
يجعلني اتنى الموت ولا ابغي ان القضاء المبرم يصل طرفي حياتي ويقرب
مولدي من مماتي

انا ابنة اجامنون واول من ناداك بالوالد بل بهذا الاسم الجميل .
وانا التي مضى عليّ ردح من الزمن وانا قرة عينك وانك لهذا الاسم^(١)
كنت تحمد الآلهة على نعمهم ولاجله كنت تغمرني بملاطفاتك التي ما
الجأك الى الاسراف فيها الا موضع الضعف^(٢) من الابوة وحنانها
وللاسف كنت اسرد والسرور ملء فؤادي اسماء البلاد التي ستدوخها
متفائلة بانتصارك على (اليون^(٣)) وكنت اعد معدات عيد هذا الظفر

(١) أي انه كان يحمد الآلهة حينما كانت تناديه يا ابت على ان منحوه ابنة وصار
لها ابا (٢) موضع الضعف هي التي تؤثر على الانسان وتتغلب عليه كحنان الابوة
ولو كان الاب قاسياً مع جميع الناس (٣) اسم آخر لمدينة طروادة

وما كنت منتظرة أن يُفتتح بان تهرق دمي ولا خوفي من هذه الضربة
هو الذي يذكركني بطيبتك الماضية

لا تخش أسراً فإن قلبي ليغار على مجدك وشرفك ولا يجترى أن
يقترف ما يحرم من أب مثلك الوجه خجلاً . ولو كنت لأفكر إلا في
الدفاع عن حياتي لكنت استطعت أن أحفظ تذكراً جميلاً . ولكنك
تعلم لسوء حظي وعثار جدي أن هناء أمي وحبيبي مرتبط بي وأن ملكاً
يجلك يود لو يرى يوماً يشهر فيه زفافنا الفخم

وثق حبيبي بقلبي الذي وعد بهواه وقد عد نفسه سعيداً حينما وعدته
بزواجي . فما قولك في خوفه واشفاقه اذ يعلم قصدك . وترى والدتي
امامك تذرف وأبل الدمع ففعلوا عما سولت لي به الآن نفسي لتدارك
عبرات تسيل بسببي

اجامنون

لقد قلت حقاً يا بنيتي . وليت شعري لأي جرم يطلب غضب
الآلهة قرباناً لتسكفيره ودعائك باسمك هذا الوحي القاسي ليهدر دمك
على المذبح . وما كان شغفي بك منتظراً توسلاتك للذود عن حياتك بل
طالما قاومت هذا الأمر

أظن أن هذا الحب الذي تعترفين به بنفسك وفي هذه الليلة
أخبرت بأنني أعلنت بطلان هذه الإرادة التي جعلوني أقبليها لفائدة اليونان
التي سينالونها منك . وذهب أركاس لينعمك عن المحبي . ولات حين مناص

اذ لم تشأ الآلهة ان يصادفك وخذعوا ما بذله اب تمس سيء الحظ
يحميك بلا طائل ولا جدوى مما صبوه عليك من العقاب الاليم
لا تعتمدى على قوتي الضعيفة في حمايتك والدفاع عنك فلا احد
يستطيع ان يوقف حرية شعب عند حد ان ارادت الآلهة رفع نير
الاستعباد عن عاتقه ؟

فاذن يجب عليك بنيتى ان تخضعى فقد ازفت ساعتك . وفكري جيداً
في اي مرتبة ربيت ونشأت واني اعطاك بهذه النصيحة التي لم اكدها
اتلقاها . واعلمي ان موتك اهون مما ساعانيه بعدك من الحشرات
والالام التي تهد شواخ الاطود

اظهرى عند موتك من اين آيت وأخجلي الآلهة الذين ظلموك بهذا
العقاب الاليم واذهي ليعرف اليونان دمي وهو سائل منك حينما يضحونك
كليتيمنيستر

انك لم تكذب اسرة منحوسة مشؤومة ومن اشبه اباه فما ظلم .
نعم انك من دم (اتريه ^(١)) و (تيسست) . ألم يرق لك يا جلاد ابنته الا ان
تولم بها وليمة فظيمة لأمها وانك ايها الوحش الضاري الذي دبر هذه الضحية
بفنونك وحيلك ! ألم يمنعك قبح هذا العمل وفظاعته عن قبول هذه الارادة
البربرية القاسية

عجبي منك كيف تتصنع امام اعيننا بهذا الحزن الكاذب ، افكر

(١) والد اجامنون وتيسست اخوه وقتل الاخ الاول ابنا اخيه واطعمهم لانيهم

انك تخذعنا بهذه الدموع لتبرهن على حنانك وشفقتك ؟ واي حرب خضت غمارها لاجل ابنتك او دم اسلته لها ؟ ام اي اثر هنا يدل على مقاومتك او ميدان غطيته باشلاء الموتى يلجمني ولا يدع لي وجهاً للكلام ؟ وباي شهود تثبت ان حبك لها سول لك نجاتها

حكم القضاء المبرم بقتلها ولا اظن ان الوحي يؤخذ من ظاهر قوله . وهل الآلهة العدل يشفون اوار غليلهم بهذا الموت الشريف وهذا الدم البريء ؟

وان كان بجرم هيلانة تؤخذ اسرتك وتنشد (ايرميون ^(١)) والدتها في ارجاء اسيرطه ويجعل منيلاس يسترد بثمن ناهيك به نصفه ^(٢) الأثيم الذي هام به وتيمه

عجبي لك فأي جنون أبلأك لان تكون ضحية له وان تحملنا تبعه جرم أخيك ولم ادعني امزق جيوبى غمماً واعطيه دمي النقي نمنأجلبه الاحق ؟ ماذا أقول في هذا الامر الذي اثار غيرة الجميع . وتظن ان هيلانة التي عكرت صفو اوردوبا وآسيا تستأهل ان تكون نمنأ لحروبك العظيمة ؟ كم من مرة حمرت وجوهنا خجلاً لاجلها قبل ارتباطها المشؤوم بزواج اخيك اذ اختطفها (تيزيه ^(٣)) من ايها كما علمت وانباك به كلكاس واثتلف بها سرّاً واولدها بنتاً اخفتها عن اليونان وكانت برهانا ساطعاً لأثمها

(١) ابنة هيلانة (٢) يريد زوجته التي هي كقطعة منه (٣) يطل من فرسان

اليونان ابن ايجيه وملك أثينه

واني لا اصدق ان حب الاخ وشرفه الموصوم هو الذي دعاك لهذا
 الاهتمام وعجلت لاجله . كلا بل امانيك في الملك التي لا تنطفى من قلبك
 والاعجاب برؤية عشرين ماسكا تخدمك وتخشاك ويعهد اليك بمقاييد امور
 المملكة التي عبدها فؤادك وتريد ان تضحي لاجلها ابنتك ايها القاسي
 الغليظ القلب ولا يحركك قلبك لترفض هذه الضربة الفاجعة التي تريد
 ان يكون لك بها فضل وحشي

تغار على ملك تحسد عليه ان ثلته وتود ان تبثاعه بدمك راغباً ان
 تفهم كل مجترى اراد ان ينازعك فيه . اتمد اذن والداه ؟ آه ! ان فكري
 يسلم ويقر بقسوة هذه الخيانة

وذاك الكاهن الذي التفت حوله فئة ممن لا قلوب لهم ولا خلاق
 يريد ان يمد يدا اثميه الى ابنتي ويمزق احشاءها ويستشير الالهة بعين زائفة
 وقلب خفاق . وأنا الذي اتيت بها وهي متهللة مستبشرة معجبة بجمال
 يسلب النهي ارجع على عقبي وحدي بخفي حنين يائسة بائسة ! وأرى
 الطرق ما برح عرفها الشذي متضوعا مما نثر تحت اقدامها من الازهار

كلا فاني لا افودها الى العذاب او تضحي لليونان ضحيتان . ولا
 خوف او احترام يستطيع ان يفصلها مني او ينزعها من بين ذراعي الا بعد
 ان يدميهما . يالك من بعل وحشي وأب قاس . تعال لتريني كيف تقدر ان
 تنتشلها من بين يدي أمها . فادخلي اذن يا بنيتي واطيعيني على الاقل
 للمرة الاخيرة

Phèdre

فيدر

الملخص

رواية محزنة ذات خمسة فصول مثلت للمرة الاولى على مسرح (الكوميدي فرانسيز) في اول يناير سنة ١٦٧٧ وقد مثل فيها راسين غرام فيدر المحرم وهي زوجة (تيزيه) لابن زوجها (ايبوليت) الذي كان نموذجاً للشرف والمفاف والطاعة البنوية وكان هذا الشاب عاشقاً لفتاة تدعى (اريسي) رقيقة العواطف ذكية الفؤاد قوية العزيمة وكان (تيزيه) يمثل ابا يرى لحاله لما انتابه من المصائب كما يمثل (تيرامين) وهو مؤدب ايبوليت الفصاحة والبلاغة و (اينون) مرضع فيدر ذات نفس منحطة تخلص ولو في الاشتراك في الجرم

وأهم ماتدور عليه الرواية ويبت القصيد فيها هي أحوال فيدر المدهشة التي ربما كانت الاولى في بابها في جميع الروايات الفرنسية

كانت عواطف فيدر وغرامها المبرح قاسية شديدة دارت على جميع أوجه الحب من توسل ولعن وغضب وغرور وخرف حقيقي وكانت فيدر ليست عديمة الضمير بالمرّة بل كان يجعلها تقاوم وتناضل وتناّم وتئن الى ان تابت قبل موتها . ولا داعي للتأويل في سرد هذه الحوادث لان اغلبها موجود في النبتة التي عربناها

نبذة من رواية فيدر

المنظر الثالث من الفصل الاول

فيدر — اينون

فيدر

فلنقف عند هذا الحد يا عزيزتي اينون فان جسمي لا يكاد يتماسك
وخالتي قواي المضمحلة وكل مني الطرف من النور الذي اراه وترين
ركبتي المرتجفتين توشكان ان تختفيا تحتي ولا يحملاني . فوا أسفاه على
حالي (ثم تجلس)

اينون

ايها الآلهة القادرون ! اترضكم عنا وتسترحمكم دموعنا المنهملة

فيدر

ما اثقل علي من هذه الخمر^(١) والخلي والحلل التي لا طائل منها
ولا اكاد استطيع حملها . واي يد منغصة عقدت مني الشعر وربته فوق
جبيني ؟ اذ كل شيء اصبغ يوئلني ويؤذني

اينون

يا لهذه الاماني التي خيبت بعضها بعضاً . وانك ساخطة على مقاصدك

(١) جمع خمار وهو ما تلف به المرأة رأسها

وهي غير عادلة اذ كنت تحرضيننا على تزيينك وحينما تعاودك ذكرى
قوتك الاولى تريدان ان تظهرى للناس وتشاهدي الضوء . وانك لثريته
ويوشك ان يحجبك اذ تكرهينه وانت التي سعت اليه قدمك
واتيت تطلبينه ^(١) ؟

فيدر

ايها الجلد الشريف المجيد لاسرة حزينه بائسة ! انت الذي افتخرت
واعجبت بك ابي بان كانت لك ابنة . وربما تخجل مما انا فيه من الاضطراب .
وانت ايها الشمس قد اتيت ' لا تزود منك بالنظرة الاخيرة

اينون

مالي اراك لا تفارقك هذه الرغبة القاسية سائمة من الحياة مستعدة
لها استعداداً مشؤوماً ؟

فيدر

ايها الآلهة ! ألسن الآن جالسة في ظلال الغاب . فمتى تستطيع
ان تتبع عيني خلال غبار شريف عجلة ^(٢) فارة الى المحجر ؟

(١) انهمك الحب قواها وطرحها على فراش المرض ولم تخرج مدة من مخدعها
فاشنت ان تزين وتخرج الى بهو البيت لتشاهد النور وتستشق الهواء ولكنها ما
مشت غير خطوات قليلة الا وخانتها قواها فجالت من شدة ضعفها وطفقت تلعن
النور الذي تشاهده واليد التي زينتها (٢) العجلة هي العربة وهذا القول خرف عند
نوبة اختلاط عقلها من المرض وفرط الحب

اينون

ما هذا ياسيديتي ؟

فيدر

ما أحقني ! اين انا وماذا قلت له ؟ اين ضلت مني الاماني والحجي ؟
 فقدت صوابي : والآلهة هي التي نزعته مني
 ان وجهي يا اينون علت له حمرة الخجل اذ تركت آلامي المخجلة ظاهرة
 للعيان والعين غارقة بعبراتها رغمًا عني

اينون

اذا كنت خجلة فاخلجلي من صمتك الذي يزيد في آلامك .
 ومتاعبك . يشور نأرك ان رعينك باعثنائنا وتضم اذناك لحديثنا . اتريد ان
 ان تعجلي على البقية الباقية من ايامك دون رحمة ؟ اي غضب يحول
 دونها ^(١) في ميدان السباق عن بلوغ شأوها ؟

خيم الليل ثلاثا وكر عليه النهار ثلاثا فبدده ولم يطرق السكرى لك
 عيناً منذ رزح بجسمك تحت وطأة الألم والسقم دون طعام . ماذا تسول
 لك به النفس من سيء المقاصد ؟ وبأي حق تريد ان تفتكي بنفسك
 مهينة الآلهة الذين تفضلوا عليك بنعمة الحياة وتخونين زوجاً ربطنك
 واياء عرى العهد والميثاق واولاداً بؤساء يحملون بعمدك نيراً قاسياً .
 اتؤملين انه في اليوم الذي فيه تفارقينهم يتعطف عليهم ابن الاجنبية عدوك

(١) اي دون ايام حياتها

وعدو اسرتك هذا الولد التي حملته (احدى الامازون) ^(١) في احشائها
وهو ايبوليت

فيدر

آه يا رباه !

ابنون

هل يجرح عواطفك هذا العتب

فيدر - ياله من اسم خرج لسوء الحظ من فك

ابنون - انك محقة في استعمار غضبك : اذ احب ان اراك وانت مرعدة
من سماع هذا الاسم المنكود . عشت وانعشك الحب والواجب وطالت
حياتك لثلاثين من ان يقهر اولادك احدى ابناؤ (السيت ^(٢)) ويتأمر
على اشرف دم في اليونان . تجنبي الكدر والغیظ فان كل لحظة تودي
بحياتك واجتهدي في اصلاح ما تلف وانتبهك من صحتك وقوتك المضمحلة
حيث اوشكت ان تتصرم ايام حیاتك ولكنها ستطول وتصبح
زاهرة ناضرة

فيدر

لقد اطأت كثيراً هذه المدة الاثيمة

(١) في خرافات اليونان يقولون ان الامازون كانت أمة من النساء وكان يعدمن
اولادهن الذكور ويحرقن نديهن الايمن ليحسن رمي النبال وكان يعشن على ضفاف نهر
تيرمودون في كابادوس (٢) أمة قديمة متوحشة رحالة كانت تسكن الشمال الشرقي من
اوروبا والشمال الغربي من آسيا

اينون

هل يمزق فؤادك تمذير السريرة ؟ ام اي جريمة احدثت لك هذا
الاضطراب العاجل ؟ مع ان يدك لم تنغمس في دم بريء

فيدر

اني بفضل الله لم تقترف يداي اثماً وربي راض عني لبراءة قلبي كيدي

اينون

اي عزم فظيع يرتعد منه قلبك ويرتعد ؟

فيدر

لقد صرحت بما فيه الكفاية : فوفري علي الباقي فاني اود لو اموت
لئلا اقر باعتراف مشؤوم

اينون

موتي اذن واقبري معك هذا الصمت القاسي والبحثي عن يد اخرى
لتغمض منك العينين اذ لم يبق لك الانور ضئيل . وستكون روجي
البادئة باللاحاق بالموتى اذ امامي الف سبيل يوصل اليهم وستختار آلاي
اقربها واقصرها

متى غرتك ذمتي ايتها القاسية ؟ الا تعلمين ان ذراعي هما اللذان
تلقياك عند الوضع ؟ اتجهلين اني فارقت وطني واولادي لاجلك . ابذل
تكافئين اخلاصي ووفائي

فيدر

اي ثمرة تؤملينها من القسوة والشدة ؛ وانك لترتدين من فظاعة
الموقف ان بحت لك بالامر بعد الصمت

اينون

بربك قولي لي من يطاوعه قلبه ويستطيع ان يشاهدك وانت تسلمين
الروح امام ناظري

فيدر

حينما تعلمين اني والحظ السيء الذي يشغل كاهلي ترين ان ذلك
ليس وحده المسبب لموتي بل علمك بجزيرتي يزيدني اثماً وجراً

اينون

بحق ما ذرفته لاجلك ياسيديتي من العبرات وركبتيك الضعيفتين
اللتين التهما ان تخلصيني من هذا الشك الممقوت

فيدر

انهضي فلك ما تبغين

اينون

حدثيني فاني صاغية

فيدر

الهي ماذا اقول لها ؛ وبأي طرف افتتح الحديث

اينون

اتحين ؟

فيدر

نعم ومن الحب عراني ما عراني

اينون

ولمن؟

فيدر

ستسمعين نهاية القبح فاني احب ... ولهذا الاسم المنكود ارتجف

وارتعد . احب ...

اينون

من؟

فيدر

الا تعرفين ابن (الامازون) هذا الامير الذي طالما اضطهدته

اينون

ايبوليت : يارباه !

فيدر

انت التي ذكرت اسمه

اينون

اللهم ان جميع دمي تثلج في عروقي . فياخيلية الامل والجرم !

ويا لأسرة يرثي لها! ورحلة منحوسة هل اقرب منك اذن ايها الشاطئ

التمس ؟

فيدر

اتاني مصابي من أبعد من ذلك فاني ما كادت تجمعني وابن (ايجيه ^(١))
روابط الزواج واستتبت راحتي وسماذتي الا وأظهرت لي (اتينه) عدوي
الألد : شاهدته فاحمر وجهي خجلاً ثم صار شاحباً بمرآه

نار بنفسي الحائرة نائر الاضطراب واصبحت العين لا تبصر ولا
أستطيع التكلم وكنت اشعر ان جسمي يتشاج تارة ويحترق طوراً . وقد
عرفت الحب ونيرانه المخوفة وما يطارذني به من العذاب الاليم الذي
لا يؤمن شره . وظللت اوالي الدعوات لأحيد عما يؤلني ويؤذي

بنيت للهوى معبداً واعتنيت بتزيينه وكنت محاطة بالضحايا في
كل آونة باحثة بين جوانبهم عن صوابي الضال ولكن الدواء لا ينفع فيما
ازمن واستعصى من الادواء . وكنت احرق البخور على المذبح بلا طائل
ولا جدوى وعندما يتوسل في الى الزهرة كنت اكاد اعبد ايبوليت واره
بلا انقطاع بجانب المذبح الذي كنت انخره

كنت اقدم جميع مالدي لهذا المعبود من دون الله ومن لا يستطيع
ان أسميه فكنت أتجنبه في كل مكان . فيالمنتهى الشقاء اذ كنت أرى
ملاح أبه مرتسمة في وجهه فاضطرب واثور

كنت ابذل الجهد في اضطراده لأبعد عني عدواً أصبحت أهيم به
واعبده واتصنع الحزن والهم كمادة نساء الآباء الظالمات مجتهدة في نفيه

(١) هو تزييه زوجها

وابعادته . والفضل في انتزاعه من أحضان أبيه راجع الى صياحي المستمر
وقد استنشقت الحياة منذ غيابه وقضيت ايامي في الدعة والسكون
خاضعة لبملي كاتمة عنه قلقي واستثمرت هذا الثمر من زواجه المشؤوم
ولكن لا ينبغي حذر من قدر !

وحينما ذهبت مع زوجي الى (تريزين) بصرت هناك بعمدوي الذي
كنت أفر منه وانفجر جرحي الذي لم يندمل . وليس الحب مختلفيا في
عروقي بل الحب أجمعه الذي اقتنصني غنيمة له ولم أفلت من مخالبه . وقد
سبب لي جرمي فزعا عظيما حتى أبغضت الحياة وكرهت الحب ووددت
لو أقضي نحبي لأحفظ مجدي وأداري غرامي المشؤوم عن العيون . ولم
أستطع ان أوقف دموعي وادفع مقاومتك وقد بحث لك بكل شيء ولا
داعي اذن للتوبة حيث اقرب الأجل فلا تؤلميني بمتبك الظالم وان تكفي
من اسمعذك وغيائك الذي يذكركني بالبقية القليلة من حياتي التي اوشكت
ان تنقضي

المنظر الخامس من الفصل الثاني

فيدر - ايوليت - اينون

فيدر (تخاطب اينون داخل المرسح)

هاك من اذا رأيته يهرع جميع دي الى قلبي وانسى ما أريد ان
افاتحه به

اينون

الا تفكرين في ولد لا أمل له الا فيك

فيدر (تخاطب ايوليت)

يقال ان سفرا عاجلاً سيخرج منا منك ايها الأمير وقد جئت لأشاطرك
آلامك وعبراتك ولأشرح لك مخاوفي واشفائي على ولد اصبح فاقداً
لأبيه وسيشهد موتي القريب وان له بالمرصاد الفنا من الاعداء يريدون
ان يبطشوا بطفوليتيه ولا احد يقدر ان يحميه من مكائدهم غيرك . ولكن
في النفس قلق يضطرب منه فسكري وهو خوفي من ان تصم اذناك
عن استغاثة ولدي واخشى ان تصب عليه جام غضبك العادل وتنبهه بامه القبيحة

ايوليت

ليست هذه العواطف الدنيئة من شيمتي يا سيدتي

فيدر

ان كرهتني فلا اشكو منك ايها الامير فقد رأيتني باذلة الوسع في
ايدائك . وانك لا تستطيع ان تقرأ في اعماق قوايدي ما حفظته
لك من الضغن والحقد ولم استطع ان اجعلك تئن وتألم ونحن على شاطئ
واحد فكدت لك وعملت ما في الجهد سرّاً وعلناً لا بعدك عني وتفصلنا
ببحار عجاجة وامرت ان لا يذكر امامي اسمك . فلو قيست الالهة
والحالة هذه بالعقاب او كان الحقد وحده يستطيع ان يثير الحقد لما
استحققت امرأة الشفقة والحنان وكانت اهلاً لما تفرغه عليها من ضغائنك
أيها الأمير

ايبوليت

من شيمة الأم ان تكون غيورة على حقوق اولادها فترينها لا تعفو
عن ابن زوجة اخرى الا نادراً . واعرف حق المعرفة يا سيدتي ان
الظنون والشكوك الممقوتة هي ثمرة الزواج الثاني . وقد ينالني من غيرك
ما لحقتني منك من الالهة بل ربما تحملت سواك ولو كانت اشد وطأة ^(١)

فيدر

ايها الامير! اتني استشهد الله الذي سمحت قدرته ان اكون مستثناة
من هذه القاعدة العامة ولكن قللاً آخر ينقصني ويفترسني!

(١) اي انه لو كان ابوه تزوج بغيرها لاهاته واضطهده الاخرى كهذه كما هي

عادة جميع النساء يفضن اولاد ازواجهن

ايبوليت

لا اود الآن يا سيدتي ان تزيدن اضطراباً على اضطراب . وربما
كان ابي حياً وتسترحم الالهة دموعنا المنسجمة ويعنون علينا بأوبته . رعاه
(نيتون ^(١)) بعين عنايته ولا اظن ان دعاء ابي وتوسله الى هذا الرب
الحفيظ يذهب صرخة في وادٍ

فيدر

لا يُنظر شاطئ الاموات مرتين ايها الامير : وحيث رأى (تيزيه)
هذه الضفاف السود فان املك في الآلهة برجوعه يذهب ادراج الرياح .
وهيهات ان يفلت الحريص اكيرون ^(٢) غنيمة
ماذا اقول ؟ لم يمت ابوك قط اذ يحى واني اتصور اني اشاهد بعلي
واحاده . وقلبي . . . قد ضللت وضاع مني النهى ايها الامير وظهرت
حميتي رغماً عني

ايبوليت

ارى حبك مبرحاً متياً . وان كان تيزيه اصبح في عداد الاموات
لكنه ما برح نصب عينيك والحب يحرك دائماً ماسكن من آلام
نفسك واشجانها

(١) اله البحار (٢) في الميتولوجيا انه نهر في جهنم لم يستطع أحد اجتيازه
مرتين ويستعمله الشعراء الفرنسيون مرادفاً للجحيم

فيدر

اجل ايها الامير واني لأتململ واحترق لاجل تيزيه ولست أحبه^(١)
 كمارأوه في الجحيم^(٢) متقلبا متغيرا لاثبات له عاشقا لالف واحدة ومن
 ذهب اخيرا ليدنس عرض اله الموتى بل اهواه امينا معجبا به شيء من
 القسوة يختطف اللب بجماله فتيا جذبا للافئدة متحليا بما توصف به الالهة
 او مثلما اراك رأي العين . كان شبهك شكلا وقدا وعينا وحديثا . وحيائك
 هذا الشريف صبغ وجهه حين خاض غمار اللجج للوصول الى كريت
 فكان كفوآ واهلا لبنات مينوس . فماذا كنت تعمل اذن ؟ ولم لم يقع
 انتخاب ابطال اليونان على ايبوليت ؟ ولم كنت صغيرا ولم تستطع ان
 تركب السفينة التي أقلته وأوصلته الى شواطئنا وكنت أنت^(٣) الذي

(١) مخاطبه بالمواربة ويرمى قولها انه أشبه بأبيه حتى يكاد ان لا يفرقان وانها لاتحب
 أحدهما المتقلب الذي كان همه الجري وراء النساء بل تحب ابنه الذي هو بمثابة تيزيه
 نان ويمتاز عنه بأمانته واخلاصه وحيائه وجماله وغير ذلك مما سردته في كلامها (٢)
 في خرافات اليونان ان جهنم موجودة بجزيرة وراء المحيط في الغرب الاقصى في
 جهة لاتضيئها الشمس وتخللها اربعة أنهار منها (اكيرون) الذي سبق شرحه واه
 الجحيم (هادس) وزوجته (بيرسيفون) التي سافر لاختطافها (تيزيه) زوج فيدر
 وفي الجحيم قضاة لمحاسبة الموتى منهم (مينوس) أبو فيدر ولها حارس يدعى سيرير
 (٣) تحسر فيدر ان كان ايبوليت وقت سفر أبيه الى كريت صغير السن ولو كان
 كبيرا وذهب وقتئذ بدل ابيه لفاز بزواجها ولم تكن عرضة لجميع هذه الآلام والشجون

اهلكك وحش كريت^(١) رغما عن جميع تعاريج مأواه الفسيح
وقد سلحته اختي بالخييط المشووم بل انا التي سبقتها في هذا العزم
لان الحب اتار بصيرتي . فانا اذن ايها الامير التي هدتك السبيل في
مسالك (لايرنت) المضلة . وكم كلفني من الشجون والآلام هذا الرأس
الجميل ! ولم يك هذا الخييط ليضمن لك حبيبتيك وقرينتك في الخطر الذي
ذهبت اليه . وقد أردت ان أسير امامك فتلج معك فيدر (اللايرنت)
لتشاطرك النجاة او الهلاك

ايبوليت

آلحتي ! ماذا اسمع ؟ انسيت ياسيدي ان تزيه أبي وزوجك ؟

فيدر

اتحكم على قول فمت به وانا فاقدة الصواب ايها الامير ؟ فهل اضمت
مجبدي وشرفي ؟

(١) نذكرها هنا سيرة تزيه باختصار ليقف القارئ على أسرار هذه الرواية
لأنها مرتبطة بالميثولوجيا . كان تزيه أعظم ابطال اتينه وملكها ولد بمدينة (تريزين)
وكان أبوه (ايحيه) ملكا لاتينه أيضاً وقد وضع سيفه ونعله تحت صخرة عظيمة وقال
اذا ولدت امرأتي (ايترا) ولداً وبلغ مبلغ الرجال يجب عليه ان يمالج الصخرة وحده
ليرفعها ويأخذ السيف والنعل ثم يذهب الى اتيك ليعرفه الناس . ولما شب الولد
عند جده (بيتيه) والد أمه وبلغ أشده ذهب الى الصخرة وزعزعها وأخذ سيف
أبيه ونعله وسافر الى اتيك وفي أثناء طريقه قطع دابر من قلوبهم من قطاع الطريق

ايبوليت

عفواً سيدتي واني مقر والحجل يصنع وجهي باني اتهمت حديثك
البريء بغير حق ولا استطيع من الحجل ان امكث امامك فلذلك ابارحك ...

فيدر

لقد سمعتني طويلاً ايها النقاسي وقلت لك ما فيه الكفاية لانتشالك
من هذا الضلال ! اتعرف اذن فيدر وغضبها : قد شغفني الحب . ولا

والوحوش ولما وصل الى أبيه أرادت امرأته الاخرى (ميديه) ان تسمه فكشف
سرهما زوجها وطردها وشارك ابنه معه في الملك ودافع تيزيه عن أبيه ضد
(الابلانتيد) وذلك نور ماراتون وضحاها (لابلون) ثم سافر الى كريت ليخلص
أهل أتينه من الجزية الفظيعة التي كانوا يدفعونها الى (مينطور) وهو وحش نصفه
ثور والنصف الآخر رجل حملت به (پاسيفايه) زوجة مينوس من ثور أبيض
أرسله (يوزيدون) اله البحر ثم حبس مينوس هذا الوحش في (لايرنت) الذي
بناه (ديدال) وكان يطعمه لحم الانسان لانه عقب احدى الحروب التي قتل فيها
ابنه اندروجيه أراد ان ينتقم ويأثر لابنه بان ضرب على الآتينيين جزية سنوية وهي
سبعة غلمان وسبع فتيات كواعب تقدم طعاما لمينطور . ولما وصل تيزيه الى
لايرنت قابله اريان ابنة مينوس وناولته خيطا كان يستعمل بمثابة دليل للداخل في
لايرنت لئلا يتيه ويضل لشعب مسالكها العديدة فقتل تيزيه مينطور وركب البحر
مع اريان ثم هجرها على شاطئ ناكسوس فرمت بنفسها في البحر ياساً . ثم اختطف
ملكه (الامازون) وقد سبق ذكر هذه الامة واسمها (انتيوب) ورزق منها
بايوليت . ثم ذهب الى الجحيم ليختطف زوجة الهها (هادس) ولكنه لم يفلح هذه
المره . ثم تزوج أخيراً بفيدر ابنة مينوس وجرى ما نحن بصدده

تفكر اني في الوقت الذي احبك فيه اعد نفسي بريئة . كلا واني واثقة
بزنتي ولا تظن ان مجاملي الفاضحة هي التي ولدت آلام هذا الحب الذي
خلط مني الحجي

انتقمت مني الآلهة بان سلطت عليّ هذا الحب واني امقت نفسي
اكثر مما تبغضني كما تشهد الآلهة الذين اشعلوا نار هذا الحب المنكود
في دمي . ظن هؤلاء الأرباب انهم اتوا بمجد عظيم بان فتنوا فؤاد
امرأة ضعيفة فانية

يذكرك الماضي بانني كنت اطردك لأهرب من حبك أيها القاسي
وكنت استشير حقدك لأقاوم حبك ولكن كل ذلك لم يجد نفعا فانك
كلما زاد بغضك لي زاد حيي لك وكانت مصائبك لي فتنة وسحرا جديدا
ضنيب ونحت من نار الهوى والبكاء ويكفي لأقناعك ان تشاهدني
بعينيك ان استطاعتا ان تحكما في وجهي . فإذا تقول في هذا الاعتراف
الخجل وهل تظنه اراديا ؟

جئتكم مضطربة راجفة لولد لا اقدر ان ابغضه متوسلة اليك ان
لا تحقد عليه ولكن لكون القلب منعما بالحب اهمل عزمه فلم اتكلم
الا عنك ! فانتقم واقتص مني لهذا الحب الممقوت وخلص العالم من
وحش يغيبك لتكون اهلا لأبوة بطل عظيم اوجدك في الدنيا
اتقدم ارملة تيزيه على حب ايسوليت ؟ اظن اني هذا الوحش
الهائل الذي تفر منه . هاك قاي وهو الموضع الذي يجب علي يدك أن

تطمعنه . فرغ مني الصبر لتكفير الالهانة واشعر بأن قلبي يتقدم نحو ذراعتك
اضرب والا ان ظننت انه ليس اهلا لضربتك او كان حقك
يحسدني على هذا العذاب الذي استعذبه واستمره أو كنت تستنكف ان
تدنس يدك بدم حقير فاعرني سيفك ان اعوزني ذراعتك

اينون

ماذا تصنعين يا سيدتي ؟ قد اقبلت الناس فتداركي ان يلمح احد
على وجهك ما ارتسم عليه من هذه الشهود الممقوتة فيها ادخلي واهربي
من هذا الخجل البين

المنظر الثالث من الفصل الثالث

فيدر — اينون

اينون

يذبني لك ان تعدي من مخيلتك فكرة حب لا طائل منه يا سيدتي
واذكري فضيلتك السابقة فان الملك الذي ظن انه مات سيظهر امام
ناظريك اذ اقبل تزييه وهو الآن في هذه المواطن والشعب يحتشد ويعدو
لرؤيته وحينما خرجت اتبعا لاشارتك لأبحث عن ايپوليت شاهدت
آلافا من الأصوات بلغت عنان السماء . . .

فيدر

زوجي حي يا اينون وكفى وقد اعترفت اعترافاً ذليلاً بحب يهينه
ويفضحه. انه عائش ولا ابني ان اعرف اكثر من ذلك

اينون

ماذا ؟

فيدر

لقد انبأك به ولكنك لم تصدقيني . وقد تغلب دمعك على تعذيري
سريرتي وسأمت هذا الصباح وأكون اهلاً لان تبكي العيون اذ
اتبت ارشادك وسأقضي نحي فاقدة شرفي

اينون

تموتين ؟

فيدر

ايها الاله العادل ! ماذا اعمل اليوم ؟ سيظهر بعلي وابنه بجانبه وسأرى
كيف يبصرني شاهد غرامي الفاحش وهو متشوق لان يعرف باي جبين
استطيع لقاء ابيه وقلب مفعم بتأوهات جعل في اذنه وقرأ عن استماعها
وعين مغرورة بدموع مل منها وسئم . اتظن انه مشفق على شرف ابيه
ويكتم عنه هذه الحمية التي اهاجت مني كامن الآلام ويسمح بخيانة ابيه
وملكه ؟ اترأه يستطيع ان يضبط ما عنده من الحق علي ؟

سيلتزم الصمت بغير جدوى واني اعرف خيانتني يا اينون واسمت من
النساء المستهترات اللاتي نضب منهن ماء المحيا فلا يبالين بالفضائح والمعرات

ويستمرثن مرعى الجرم ويذقن فيه الدعة والسلم حتى عرفن ان يحمان
جبينا لا يضرّجه الخجل

اني اعلم حدتي واذا كرها ويخيل اليّ ان هذه الجدران والقباب ستنطق
وتهمني منتظرة بعلي لتوقفه على حقيقة الامر . فلنمت لتخلصنا شعوب
من جميع هذه الاهوال

هل الموت مصيبة عظيمة ؟ كلا فانه لا يحدث اقل فزع للتعساء المنكودين
ولا يعبأون به . ولست اخشي غير الاسم الذي اتركه بعدي ميراثا مروعا
لابناء عثر بهم الجدل !

ان دم (المشتري) يجب ان يجزئهما اذ يحق لهما ان يفتخرا بنسب
عظيم . ولكن اثم الأم عبء ثقیل واخاف ان يعيرها احد بجرم والذمتها
يوماً ما فيضاما بهذا الحبل الشنيع ولا يستطيع احد منهما ان يرفع عينيه
من الخجل

اينون

هذا مما لا ريب فيه واني مشفقة على كليهما كما انك محقة بوجلك
العاذل . واكنك تعرضينهما لاهانة يا لها من اهانة وتشهدين على نفسك
معرفة بجريرتك ؟ وان تم ما انت عازمة عليه يقولون ان فيدر ات عظام
الاثم والجرم وهربت من امام زوجها المغدور ومرآه المرعب . وسبنا
ايوليت بموتك اذ به يؤيد قوله . ماذا اسطيع ان اجيب به متهمك ؟
اذ سيفجمني بسهولة واره متعماً بهذا النصر الفظيع ويقص خزيك على

من اراد استماعه . آه ! اولى بي والحالة هذه ان تمحقني صاعقة من السماء
ولكن أصدقيني ان كان لم يزل عندك معززا ؟ وبأي عين تنظرين هذا
الامير الجريء

فيدر

اراه امام ناظري "كوحش مزعج

اينون

ولم تتنازلين اليه عن نصر تام ؟ تخشينه : الا تطاوعك المرأة بان
تكوني السابقة في اتهمه بالجرم الذي يستطيع اليوم ان يلصقه بك .
ومن يفند قولك ؟ والسكل يعاونك على اتهمه . وحبذا الدليل الذي يؤيد
قولك ان ترك لحسن حظك سيفه بين يديك وعلم ابوه من امد مديد
بما سببه لك من الاضطراب الحاضر والمتأب والآلام السابقة ونفاه
وفقاً لأرادتك

فيدر

ما أشد جرأتي اذن على اضطهاد البراءة وتمكير صفوها

اينون

ان همتي ليست في حاجة الا لصمتك واني مثلك ارتعد من تبكيت
الضمير وستبصريني مسرعة في اقتحام الف موة . وحيث لا سبيل الى
نجاتك من مخالب الموت غير هذا الدواء الحزن ترينني اضحي لاجل حياتك
كل مرتخص وغال . وساخاطب تيزيه حتى اذا هاج هائج من ارشادي

قصر انتقامه على نفي ابنه والوالد ياسيدتي حينما يعاقب يكون كما تمهدينه
رؤوفاً رحيماً ويكفيه خفيف القصاص لتسكين غضبه

ولو قدر وسفك دمه فانه يكون فداء لشرفك المهدد . وان الابن
لـسكنز ثمين لا يستطاع الفتك به . فاطيبي اذن جميع ما يتطلبه منك
شرفك ياسيدتي اذ لاجل نجاته مما حاق به يجب عليك ان تضعي لاجله
كل شيء حتى الفضيلة . قد اقبل الناس وارى بينهم تيزيه

فيدر

آه . اني اشاهد ايپوليت وارى فنائي مسطراً في عينه الجامدة الوقحة .
فاعلمي ما شئت فقد فوضت اليك الامر اذ ذهب صوابي من اضطرابي

المنظر الثاني من الفصل الرابع

تيزيه — ايپوليت

تيزيه

آه ! ها هو ايها الارباب العظام ! واي عين لا تتخدع مثلي في هذه
الهيئة الشريفة ؟ هل تتألاً على جبين الزاني النجس سيما الفضيلة المقدسة !
الا تعرف بالدلائل الصادقة قلوب الخائشين

ايبوليت

ايتيسر لي ان اسأل الامير عما كدر صفوه واكفر منه وجهه
الجليل ؟ الا تستطيع ان تثق بي وتأمني على هذا السر

تيزيه

اتجسر ايها الخائن ان تظهر امامي ؟ لم تركتك الصواعق امداءً
طويلاً ايها الوحش الضاري والبقية النجسة من قطاع الطرق الذين
طهرت منهم الارض . وبعد ان قادتك حدة حبك الفظيع الى مضجع
ايك تجترى ان تريني وجهاً اقبح من وجه العدو ! انظر في مواطن
مئت بفضائحك بدلاً من ان تبحث لك عن بلد مجهول لم يصلها اسمي .
اهرب ايها الغادر ولا تقدم على حقدي واهاجة غيظ لا اكاد اضبطه
وكفاني عاراً ابدياً ان اوجدت في الدنيا ولداً ائماً مجرمًا . وان قتلك ايضاً
يكون لي ذكرى مخجلة تدنس مجدي وجليل اعماله

اركب متن الفرار ان كنت تريد ان تنجو من قصاص مفاجيء
يلحقك بالمجرمين الذين اقتصدت منهم يدي هذه وحذار ان تراك الشمس
التي تضئنا واطنا بقدمك الجسورة هذه الأما كن . عجل بهربك دون
ان تؤمل العودة لتطهر ممالكنا من مراك الشنيع

وانت يانييتون ، اتذكر ان شجاعتني التي قطعت بها دابر المرر من
سفاتي الدماء وطهرت منهم شاطئك . وقد اردت ان تكافئني على ما بذلته من
الجهد بان تستجيب لي اول دعاء . ولم اتوسل اليك لتنقذني من شدائد السجن

القاسي اذ كنت حريصا على معونتك واسعادك فارجأت دعائي وادخرته
لما هو اهم واعظم . فالآن ابتهل اليك ان تنتقم لاب سيء الحظ وقد
تخلت عن هذا الخائن وتركته لغضبك فاخفق ما جرى في دمه من
وقيح الآمال . وسيعترف تيزيه بافضالك ونعمك عند ما تستشيط غضبا

ايوليت

اتهم فيدر ايوليت بحب ائيم ! يا لمنتهى الفظاعة التي حارت
منها النفس . كم من ضربة لم تكن بالحسبان تشغل كاهلي وتلجم لساني
وتخنق صوتي

تيزيه

اتزعم ايها الخائن ان فيدر تطوي وقاحتك الوحشية في زوايا الصمت
القاضح : كان الأجدد بك عندما هربت من امامها ان لا تترك سيفك
اذ هو بين يديها مساعد على نفي قولك بل كان خليك بك ان تزيد
جرمك بان تجهز على كلامها وحياتها

ايوليت

لقد هاج غيظك من كذب ممقوت وكان الواجب عليّ ان انطق
بالحقيقة ايها الامير ولسكني اغض الطرف من سر يمسك فيضيق صدري
ولا ينطلق لساني . فارض بالاحترام الذي يطبق في بدون ان تزيد في
هجومك بيديك وألق نظرة على حياتي واغصها وفكر من انا . افانك ان
الجرائم العظيمة تسببها اصفر منها . ومن يستطيع ان يتعدى الحدود الشرعية

او يخرق حرمة الحقوق المقدسة . والجرم كالفضيلة له درجات اذ لم يسمع
ان البراءة الحيمية انتقلت فجأة دون استدراج الى منتهى الوقاحة والضلال .
ويوم واحد لا يصير صاحب الفضيلة خائناً قاتلاً ندلاً يأتي المنكر مع محارمه
حملتي في احشائها طاهرة عفيفة من الشجاعة والاقدام بمكان رفيع فلم
اكذب دمها واطلمها . وكان يتيه موصوفاً بالكمياسة والذكاء بين جميع العالم
وقد تفضل بتهدئي واني لا اود ان اصف نفسي بأكثر من ذلك . واظن
يا اميري ان حظي الذي احرزته من الفضائل هو الذي اشعل الحقده عليّ
فرموني بهذه الكبائر الفظيعة . وان ايوليت لمعروف في جميع اليونان بانه
بلغ منتهى الفضيلة وانك تعرف من شجوني ثبات عزيمتي في الشدة والنفاء
وليس النهار بأنق من قلبي . ابعد ذلك يريدون من ايوليت ان يفتن
بنار حب دنس

تزييه

نعم وهذا الكبر والأعجاب هما اللذان اوقعاك في شر عملك ايها
الندل ! وارى في جفائك وانفك المبادئ الشنيعة : اذ فتنت فيدر
وحدها عينيك الوقيعنين وكانت نفسك خالية البال عمن سواها مستنكفا
ان تحترق لاجل حب بريء حلال

ايوليت

لا يا ابت فان هذا القلب كتم عنك كثيراً هواه البريء ولم يستنكف
ان يلهب منه واني اعترف بين يديك بهفوتي الحقيقية : اني احب واهوى

رغمًا عن دفاعك وقد استرقنني اريسي وصار ابنك اسيرا لابنة بالانت .
شغفني هواها واصبحت نفسي عاصية لاوامرك لا تتأوه ولا تحترق الا
لاجلها وحدها

تيزيه

اتجنبها؟ إلهي ! لا لا فتنمك شنيع: تتظاهر بالجرم وتتكلف
لتبرر نفسك

ايبوليت

منذ ستة شهور واني اتجنبها واحبها: وقد اقبلت اليك مرتجفاً
لا طمأنينة على امري . عجبا ! مالي اراك لا يؤثر عليك شيء لا تشالك من
اوهامك ! فاي يمين هائل تصدقه ؟ ابالارض ام السماء ام جميع الدنيا ...

تيزيه

يلجأ المجرمون دائماً الى الحلف الكاذب فأقصر ووفر عليّ حديثاً
ممقوتاً اذا لم يكن لفضيلتك الكاذبة معين آخر

ايبوليت

اتظهر لك فضيائي بانها كاذبة ومفعمة بالتصنع: مع ان فيدر نفسها
يناجيها قلبها بانصافي وتبريري

تيزيه

آه ! ما اشد وقاحتك واقواها تهيبجا لغيظي !

ايبوليت

ما الزمان والمكان اللذان تحددهما لنفي وأبعادي

تبريه

أذهب الى ما وراء (اعمدة السيد) واضنها قريبة بالنسبة لغادر

ايوليت

اذا كنت 'أهمل' جرماً فظيماً تهمني به فأني صديق يرثي لحالي ان
تخلت عني وهجرتني

تبريه

أذهب لتفتش عن صحاب يشرفون الزنا ويستحسنون آتيان المنكر
مع المحارم أذلاً يحمي خبيثاً مثلك الاكل خائن كنود عاطل من الشرف والدين

ايوليت

ما برحت تحدثني عن الزنا وهتك المحارم : اني ملازم السكوت .
وان فيدر ولدتها ام وهي ايها الامير من دم تعرفه حق المعرفة وله من الفضائح
والمرات اكثر مما عندي

تبريه

مخ ! اخرجك حدة غضبك امام عيني عن حد الاعتدال؛ فاغرب
من وجهي للمرة الاخيرة . اخرج ايها الخائن الغادر ولا تنتظر من اب
يتميز من الغيظ ان يطردك من هذه الأماكن مهاناً مرذولاً

المنظر السادس من الفصل الخامس

تيزيه - تيرامين

تيزيه

اهذا انت يا تيرامين ؟ ماذا صنعت بابني وقد عهدت به اليك منذ
نعومة اظفاره ؟ ولكن ما الذي يسيل منك هذه العبرات وماذا عمل ابني ؟

تيرامين

يا لعناية فاقتها ولا حاجة اليها ؛ خنان لا يجدي ؛ اذ فارقم ابوليت

تيزيه

آلهتي ؛

تيرامين

ما رأيت احدا مات اكثر منه حباً لدى الناس . واتجراً ان اقول
لك ايها الامير انه اخف الناس ذنباً

تيزيه

هلك ابني ؟ عجباً ! متى امد اليه ذراعي لمعانته ؟ هل نفذ صبر الآلهة
وعجلوا بموته ، اي ضربة اختطفته مني ، ام اي صاعقة مفاجئة

تيرامين

لم نكد نخرج من ابواب تيرزين وابنك راكب عجلته وحرّاسه
تعلمهم الكآبة ملتفون حوله مقلدون صمته فسار وهو فريسة الشجون
والهموم في طريق (ميسين) وقد ارخت يده العنان على ظهور خيله .
ولما كانت جياده الحسان كما عهدتها الناس ملكت حمية لبت صوته

وزاغت منها الأَبصار وطأطأت الرؤوس يحسبها الانسان انها وفق فكره
الحزين اذ خرج من اللجج صوت مزعج عكر صفو الهواء فأجابات
الصافنات الجياد هذا الصياح المرهب بصهيلها فتشاج دمناء في اعماق افئدتنا
وانتصب شعر أعراف الخيل وارتفعت على ظهر اليم لجة كالطود واقتربت
ثم تكسرت وقذفت بين الزبد وحشاً هائلاً عريض الجبين مسلح الرأس
بقرنين مزعجين وجسمه مغطى بقشور مصفرة كأنه ثور صعب المراس
او اثنين عظيم البأس . التف عجزه فاحدث ثنيات معوجة ملتوية . وقد
ارتجف من هول زئيره الشاطيء ومادت الارض واوبأ الهواء وتقهقرت
اللجة التي حملته وهي مروعة منه وهرب الجمع والنجا الى المعبد المجاور
دون ان يتسلحوا بشجاعة لا تغني ولا تنفع ولبث ايوليت وحده فكان
اهلاً لان يكون ابناً لبطل حلال . فأوقف خيله وقبض على حرا به وطعن
الوحش بيد لا تخطيء طعنة نجلاء اصابته في عطفه طفر من حر ألمها
الوحش ووقع زائراً تحت اقدام الجياد متمرغاً مظهرافاً ملتهباً فغطاها
بنار ودم ودخان فاخذها الفرع وصمت آذانها هذه المرة عن استماع الزجر
ولم يغن صاحبها ما بذله من الجهد لكبح جماحها حتى كل ساعده وخارت
قواه وضربت الخيل اللجم بما يخرج من افواهها المذبذبة الدامية ويقال
انه شوهد في هذا المهرج الهائل انه يضغط على جنوب الخيل المغبرة بمهمازه
وهوى بها الوجه بين الصخور ففرقع محور العجلة وانكسر وشاهد البطل
ايوليت عجلته وهي تحطم ارباباً ارباباً ووقع هو بنفسه والتفت عليه الاعة .

فاعذرني لألمي ومصابي : فان هذا المنظر القاسي سيفجر ينابيع الدمع من
شؤوني فلا تجف مدى العمر . وقد نظرت ايها الامير ولدك البائس بحره
اخيل التي اطعمها بيده وكان يود لو يذكرها بحسن صنيعه ولكن صوته
كان يزيد في ازعاجها واستمرت في عدوها حتى اصبح جسمه داميا كأنه
جرح . وقد ملأنا السهل بصياحنا واسنغاثنا ثم هدا قليلاً جراح الجياد
ووقفت على مقربة من المقابر العميقة التي كانت بالملوك اجداده ذخائر
باردة جامدة . فمزوات اليه متأوهاً وتبعني حرسه وهدانا اليه ماخطه
دمه الشريف على الصخور واخذ العوسج الممقوت من خيله جلباباً داميا .
ولما وصلت اليه ناديته فد الي يده وفتح عيناً مائتة ثم اطبقها فجأة وقال :
« قضى الاله بان يزرع في حياة بريئة فارغ بعد موتي (اريسي) الحزينة البائسة بعين »
« غنايتك ايها الصديق العزيز وان تبين الرشد من النفي لابي يوماً ما ورتي لصيدة ابن »
« اتهم كذباً وظلماً فقل له ان اراد ان يلطف دمي وخيالي الشاكي »
« فعليه ان يرأف بأسيرته ويعاملها بالرفقة والحنان ويرد اليها . . . » . وعند هذه
اللفظة اسلم الروح هذا البطل ولم يترك بين ذراعي الا جسماً مشوهاً مثلاً
به . فيا المسكين يرثى له ظفر به غضب الآلهة حتى ان عين أبيه تنكره

تزييه

واولاده! واأسف على أمل عزيز خفت به: يا آلهة لا يسكن غضبها ولا ترحم قلوبها
ومن استعبدتني أمداً طويلاً! مدت في حياتي لتذيقني هذه الحسرات القاتلة!



فهرست

Préface	المقدمة	٣
Victor Hugo	فيكتور هوجو	٥
Napoléon II	نابليون الثاني	١٠
Le Naufragé	الغرقى	١٧
Pour le Sable	ان للرمال للينا خائناً	٢٠
Un peu de Musique	طرفة من الموسيقى	٢٣
Puisque j'ai mis ma lèvre	اما وقد وضعت شفتي	٢٥
Alphonse de Lamartine	الفونس دو لامارتين	٢٧
Le Chien du Solitaire	كلب المنفرد	٣٠
L' Isolement	العزلة	٣٣
L' automne	الخريف	٣٥
Un village des Alpes	قرية من جبال الألب	٣٦
A une Fleur séchée	زهرة جافة في كتاب	٣٨

صحیفہ

Alfred de Musset	الفريد دو موسيه	۴۰
La Nuit d'Octobre	ليلۃ من تشرين الاول	۴۴
La Cavale Sauvage	الفرس الوحشية	۵۳
A une fleur	زهرۃ	۵۴
Lucie	لوسيا	۵۶
André Chénier	اندريه شينيه	۶۰
La Jeune Captive	الفتاة الأسيرة	۶۲
Le Comte Alfred de Vigny	الکونت الفريد دوڤيني	۶۶
La Maison du Berger	بيت الراعي	۶۸
La Mort du loup	مصرع الذئب	۷۶
François Coppée	فرنسوا کوپيه	۸۰
Le Passant	جواب الآفاق	۸۳
Edmond Rostand	ایدمون روستان	۱۰۶
Résumé de Cyrano	ماخص روايۃ سیرانو	۱۰۸
Cyrano de Bergerac	سیرانو دو بیرجیراک	۱۱۰
Alphonse Daudet	الفونس دوديه	۱۳۱
La Dernière Classe	الدرس الأخير	۱۳۲
Théophile Gautier	تیوفیل جوتیه	۱۳۸
Le Soulier de Corneille	حناء کورني	۱۴۰
Pierre Corneille	پیر کورني	۱۴۴
Horace	اوراس	۱۴۷

	صحيفة
Que la Vérité	ما اعظم الحقيقة ١٥٢
Stances à la Marquise	قصيدة الى المراكزة ١٥٥
Les Hommes doivent	يجب على الناس ١٥٦
Jean Racine	جان راسين ١٥٨
Iphigénie	نبذة من رواية ايفيجيني ١٦٢
Résumé de Phèdre	ملخص فيدر ١٦٩
Phèdre	نبذة من رواية فيدر ١٧٠



